

الضوابط الإيمانية والعملية لمواجهة الابتلاء

على ضوء سيرة النبي محمد ﷺ

دراسة تأصيلية

إعداد الدكتورة:

أمل بنت إسماعيل محمد زاهد الصيني

أستاذ الحديث وعلومه المساعد

قسم الكتاب والسنة ـ كلية الدعوة وأصول الدين

جامعة أم القرى بالمملكة العربية السعودية




مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية
والعربية


مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية
والعربية


بسم الله الرحمن الرحيم


مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية
والعربية



ملخص البحث

جعل الله سبحانه وتعالى الابتلاء سنة في هذا الكون على جميع الخلق برهم وفاجرهم، فأفعاله كلها لا تكون إلا عن علم وحكمة، منها ما نعرفه وتكون ظاهرة لنا، ومنها ما تقصر عقولنا وأفهامنا عن إدراكها. ومن هنا تأتي أهمية هذا البحث خاصة في زمننا هذا ، الذي تكالب فيه الأعداء ، وتجمعت الأكلة على أمة الإسلام ،بالإضافة إلى بعد بعض المسلمين -هداهم الله - عن التسلح بالمنهج الرباني في مواجهة الابتلاءات، ومقابلتها بالسخط على قضاء الله تعالى وقدره ،وعدم رضاهم بما كتبه الله عليهم مع ضعف يقينهم ، وقلة تحملهم فيفقد الواحد منهم صبره ،وقد يستعجل الموت يأسا من حياته فيقدم على الانتحار -عياذا بالله- فيخسر دينه ودنياه .فرغبت من خلال هذا البحث الإسهام في استنباط الضوابط الإيمانية ، والضوابط العملية التي واجه بها المصطفى عليه الصلاة والسلام الابتلاء من سيرته الصحيحة العطرة ؛ليراعيها المسلم في حياته ،وليعصم نفسه من الزلل والوقوع فيمالا يحمد عقباه.

وقد اقتضت طبيعة البحث تقسيمه بعد المقدمة إلى ثلاثة مباحث تندرج تحتها عدة مطالب، حيث تناول المبحث الأول الابتلاء تعريفه، وأحوال الناس معه، وحكمه، وثماره، وتناول المبحث الثاني نماذج من صور الابتلاء التي واجهت النبي محمد ﷺ في حياته وكيفية تعامله معها، وتناول الثالث الضوابط الإيمانية، والعملية المستنبطة من سيرته ﷺ في مواجهة الابتلاء، ثم الخاتمة وفيها أهم النتائج والتوصيات.

الكلمات المفتاحية: الابتلاء – المواجهة – الإيمان – الضوابط – الصبر – الفرج.

The Religious and Scientific controls to face Affliction in light of the Biography of the Prophet Muhammad (PBUH) Fundamental Study

By: AMAL BINT ISMAIL MOHAMMED ZAHED AL-SINI

Assistant Professor of Hadith and Sciences

Department of the Quran and Sunnah - College of Da`wah and Fundamentals of Religion

Umm Al-Qura University in the Kingdom of Saudi Arabia

Email: dramalalsinia@hotmail.com



Abstract

Allah – Glory be to Him – created Affliction as universal norm over all creatures; pious or impious as all Allah acts bears wisdoms within them where we know some these wisdoms and some is beyond our minds. This research is very important especially nowadays where all people summon one another to attack us as people when eating invite others to share their dish in addition that most of Muslims are far from the divine methodology to face afflictions, rather they face them with discontent and indignation as well as their dissatisfaction with all what has been written on them by God in addition to lack of trustfulness and patience which lead some of them to commit suicide so he loses his worldly and hereafter life. Through this research, I desired to contribute to elicit and formulate some religious controls from the prophet's biography in which the prophet Muhammed PBUH used to face affliction throughout his entire life so as any Muslim can resort to them to protect himself from fault

The research consists of an introduction and three sections including many topics. Section one handled the meaning of Affliction, its philosophy, fruits and status of people towards it. Section two introduced some images of Affliction which faced the prophet Muhammed PBUH. Section three handles the religious and scientific controls derived from the prophet's life in facing Affliction. The research included a conclusion including the most important findings and recommendations

Key words: affliction - confrontation - faith - controls - patience - relief.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة

الحمد لله الذي جعل بعد الشدة فرجًا، وبعد الضيق سعة ومخرجًا، وبعد البأساء والضراء نصرا وعافية، ولم يخل محنة من منحة، ولا نقمة من نعمة، ولا نكبة ورزية من موهبة وعطية، خلق فقدَّر ودبّر فيسر، فكل عبد إلى ما قَدَّره عليه وقضاه صائر. أحمدُهُ سبحانه على خفيّ لطفهِ وسعةِ عفوه، وجزيلِ بره المتظاهر؛ أكرم مسؤول، وأعظم مأمول، عالم الغيوب ومفرّج الكروب، ومجيب دعوة المضطر المكروب. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، كثير الخير دائم السلطان، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صاحب الآيات والبرهان، اللهم صل على محمد وعلى آلة وأصحابه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين. وبعد:



فقد جبلت الدنيا على كدر، فكم من مصائب وكوارث وأزمات يتعرض لها الإنسان في حياته سواء كان ذلك في نفسه، أو في أهله وماله وأولاده، أو في دينه ومجتمعه وأمته، وهذا الابتلاء جعله الله سنةٌ في خلقه لم يستثنِ منه أحدًا حتى أنبيائه ورسله، وهم أقرب الخلق وأحبهم إليه، قال تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾ [العنكبوت: ١-٣]، وذكر سبحانه وتعالى الابتلاء وقرنه بخلق الإنسان وما زال نطفة؛ ليدرك حقيقة الابتلاء، وكيف يتعامل معه ويستفيد منه؟ وكيف يستثمره؛ ليواصل مسيرة الحياة، قال تعالى ﴿إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ۝٢ إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾[الإنسان: ٢-٣]. وجعل سبحانه وتعالى الابتلاء في الدنيا بما فيها سنة ماضية، وجعل الآخرة للجزاء، قال تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةٗ لَّهَا لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا﴾[الكهف: ٧]. فالابتلاء من سنن الله الظاهرة في سيرة الأنبياء ،وفي سيرة خاتم الأنبياء محمد ﷺ، وهو سيد ولد آدم وأحب خلق الله إليه، ، فليس البلاء قاصراً على أحد، وإن تباينت صوره و تفاوتت مراتبه ومراتب الناس فيه تبعًا لذلك، فما من نبي ،ولا رسول ،ولا أتباعهم من المؤمنين



إلا وابْتُلِوا بلاء شديدًا، وما كان رسولنا ﷺ إلا بشر مثلنا تجرى عليه هذه السُّنَّة، وإذا كانت ابتلاءات الأنبياء والرسل الكرام كثيرة من الصعب حصرها، فكذلك ابتلاءات الأمثل فالأمثل من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين كثيرة أيضًا ،وما ادعى أحدٌ إيمانًا بالله ﷻ،ورسوله ﷺ إلا كان له نصيب من الابتلاء،، قال تعالى : ﴿ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ ﴾ [البقرة: ٢١٤]. ولقد تعرض رسول الله ﷺ للكثير من الأذى والابتلاءات والمحن في مواقف متعددة من حياته منها ما لقيه في سبيل الدعوة وتبليغ الرسالة التي عبر عنها ورقة بن نوفل [(١)] في أول يوم من أيام النبوة حين قال: (يا ليتني فيها جذعا [(٢)] إذ يخرجك قومك، فقال له رسول الله ﷺ: أو مخرجي هم؟!، قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك حيا أنصرك نصرا مؤزرا، ثم لم ينشب[(٣)] ورقة أن توفي) [(٤)].

فقد اختار الله لنبيه ﷺ العيش الشـديد الذي تتخلله الشـدائد، منذ صـغره؛ ليعده للمهمة العظمى

---

(١) هو ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشي الأسدي، ابن عم خديجة زوج النبي ﷺ لما ثبت في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها الذي جاء فيه "فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة وكان امرأ قد تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني ...الحديث" أخرجه البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، (١/ ٧-٨)، رقم (٣).

(٢) (جذعا) بالنصب لأكثر الرواة على الحال، والخبر مضمر، أي فأنصرك، أو ياليتني فيها موجودا يعني أيام مبعثك في حال نبوة كالجذع، وقيل معناه فأكون أول من يجيبك ويؤمن بك، انظر: مشارق الأنوار على صحاح الآثار، للقاضي عياض اليحصبي، ج٢/ ٥٨٥.

(٣) (لم ينشب) أي لم يمكث، ولم يحدث شيئا حتى فعل ذلك، كان ما ذكر وأصله من الحبس أي: لم يمنعه ولا شغله أمر آخر عنه.

انظر: مشارق الأنوار على صحاح الآثار، للقاضي عياض اليحصبي، ج٢/ ٥٠.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، (١/ ٧-٨)، رقم (٣).

التي تنتظره والتي لا يمكن أن يصبر عليها إلا أشداء الرجال، الذين عركتهم الشدائد فصمدوا لها، وابتلوا بالمصائب فصبروا عليها. وعلى الرغم من البلاء الواقع عليه ﷺ، فقد كان يشعر بما يعانيه أصحابه من أذى وبلاء، ويتألم له، لكنه ﷺ كان يربي أصحابه ،ومن يأتي من بعدهم على أن الابتلاء من سنن الله، وأنه قبل النصر لابد من البلاء والصبر، فالرسل وأتباعهم يُبْتلون ثم تكون لهم العاقبة، قال الله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴾ [يوسف:١١٠]. فإذا كان الإيذاء والابتلاء قد نال رسولَ الله ﷺ وصحابته الكرام، فلم يعد هناك أحد لفضله، أو علو منزلته أكبر من الابتلاء والمحن، فتلك سنة الله مع الأنبياء والمؤمنين وسائر الخلق أجمعين.

ومن هنا تأتي أهمية هذا البحث خاصة في زمننا هذا والمسلمون في أوج محنتهم، وابتلائهم؛ لتعريفهم بالضوابط الإيمانية ،والضوابط العملية ؛لمواجهتها والنجاة منها للفوز بسعادة الدنيا والآخرة وفق المنهج النبوي الذي طبقه عليه الصلاة والسلام في حياته ،والذي من أهمها الصبر ،والاحتساب ،والثقة بالله في تأييده لهم خصوصا في عصرنا الراهن الذي تكالب فيه الأعداء ، وتجمع فيها الأكلة على أمة الإسلام ،بالإضافة إلى بعد بعض المسلمين هداهم الله عن التسلح بالمنهج الرباني في مواجهة الابتلاءات والمحن ومقابلتها بالسخط على قضاء الله تعالى وقدره ،وعدم رضاهم بما كتبه الله عليهم مع ضعف يقينهم وقلة تحملهم فيفقد الواحد منهم صبره ويستعجل الموت يأسا من حياته فيقدم على الانتحار عياذا بالله .فرغبت من خلال هذا البحث الإسهام في استنباط الضوابط والقواعد الإيمانية والعملية لمواجهتها، والسلامة والنجاة منها من خلال سيرة الحبيب المصطفى ﷺ؛ ليراعيها المسلم في حياته ،وليعصم نفسه من الزلل والوقوع فيمالا يحمد عقباه.

فالضوابط الشرعية، والقواعد المرعية التي التزم بها نبي الرحمة في التعامل مع الابتلاءات التي واجهته عليه الصلاة والسلام إذا أخذنا بها، واقتفينا أثره فيها كان ذلك نبراسا لنا يهدينا سواء

الصراط في الدنيا والآخرة.

أولا: أهمية البحث:

١-الإسهام في نشر السيرة النبوية في جانب مهم من جوانبها؛ ليفيد منها المسلمون وتفيد منها أمة الإسلام.



٢-تنبيه الأمة الإسلامية على عظم مكانة هذا الدين، وعظم مكانة النبي ﷺ فعظم البلاء من عظم الجزاء.

٣-ربط العلم بالعمل إذ لا غنى لأحدهما عن الأخر وذلك من خلال ربط السيرة النبوية العطرة بواقع حياة المسلمين المعاصر.

٤-حاجة الأمة الإسلامية الماسة إليه خاصة في عصرنا الراهن، الذي كثرت فيه المحن والابتلاءات وتجمع فيها الآكلة على أمة الإسلام.

٥-حاجة المسلم المتأسي بهديه ﷺ؛ لمعرفة الضوابط التي واجه بها عليه الصلاة والسلام الابتلاءات التي نزلت به حتى لا تزل به الأقدام فيخسر دينه، ودنياه فيما لو نزل به البلاء.

ثانيا: أسباب اختيار الموضوع:

١- مكانته السامية وقيمته العالية بين الموضوعات الإسلامية خاصة في وقتنا الحاضر.

٢- الحاجة الماسة لإبراز مثل هذه الموضوعات؛ لتدل المسلم على الهدى وتزوده من الخير والتقى.

٣- غفلة أو تغافل كثير من الناس عن معرفة مثل هذه الضوابط وموقفهم من الابتلاء وما يجب عليهم تجاه مواجهته.

٤- تزايد حالات الانتحار والاستعجال على إنهاء الحياة التي لم تسلم منها المجتمعات المسلمة عند نزول البلاء بأحدهم بسبب ضعف يقينه وجهله بالمسلك الإيماني والعملي الصحيح؛ لمواجهتها.

٥- أن المسلم إذا تصور مسألة ما دون ضابط، ودون قاعدة ترجع إليها؛ فإنه سيذهب عقله إلى

أنحاءٍ شتى في تصرفاته في نفسه، أو في أسرته، أو في مجتمعه، أو في أمته فيقع فيما لا يحمد عقباه.

ثالثا: أهداف البحث:

١- خدمة السنة النبوية المطهرة في جانب مهم من جوانبها المتعلقة بالسيرة النبوية.

٢- بيان صور الابتلاء التي تعرض لها نبي الرحمة عليه الصلاة والسلام، وكيفية مواجهته لها؛ ليتحدد موقف المسلم المتأسي به ﷺ منها كي لا تزل به الأقدام.

٣- الوقوف على رحمة الله جلَّ وعلا بعباده حيث لم يتركهم دون قدوة يقتدون بها في مواجهة ما ينزل بهم من بلاء واختبار؛ لتمحيص إيمانهم ورفع درجاتهم.

٤- إبراز الضوابط الإيمانية والعملية التي واجه بها النبي ﷺ صور الابتلاء المختلفة التي نزلت به؛ ليتأسى به المسلمون في مواجهته فيسلم لهم دينهم وتسلم لهم دنياهم.

٥- توضيح المنهج الصحيح الذي يجب أن يسلكه المسلم تجاه ما ينزل به من البلاء في كل زمان ومكان.

خطوات البحث:

اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى مقدمة وثلاثة مباحث يندرج تحتها عدة مطالب، ثم الخاتمة وفيها أهم النتائج ثم الفهارس.

المقدمة وتشتمل على: أهمية البحث، أسباب اختيار الموضوع، أهداف البحث، **وفيه أربع مطالب:**

المبحث الأول: الابتلاء تعريفه، وأحوال الناس معه، وحكمه، وثماره.

المطلب الأول: تعريف الابتلاء والفرق بينه وبين البلاء

المطلب الثاني: أحوال الناس مع الابتلاء.

المطلب الثالث: حكم الابتلاء.

المطلب الرابع: ثمرات الابتلاء.

المبحث الثاني: نماذج من صور الابتلاء التي واجهت النبي محمد ﷺ في حياته وكيفية تعامله معها وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: ابتلاؤه ﷺ في نفسه.

المطلب الثاني: ابتلاؤه ﷺ في ولده.



المطلب الثالث: ابتلاؤه ﷺ في أهل بيته.

المطلب الرابع: ابتلاؤه ﷺ بفقد الأحباب، والأصحاب النصراء.

المطلب الخامس: ابتلاؤه ﷺ في عشيرته، وأمته.

المطلب السادس: ابتلاؤه ﷺ في دعوته.

المبحث الثالث: الضوابط الإيمانية والعملية المستنبطة من سيرته ﷺ في مواجهة الابتلاء وفيه مطلبين:

المطلب الأول: الضوابط الإيمانية المستنبطة من سيرة الرسول ﷺ في مواجهة الابتلاء.

المطلب الثاني: الضوابط العملية المستنبطة من سيرة الرسول ﷺ في مواجهة الابتلاء.

ثم الخاتمة وفيها أبرز النتائج والتوصيات.

ثم الفهارس:

- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس المحتويات تفصيلا.

منهج البحث:

أولا: خضع البحث للمنهجين التاليين:

المنهج الاستقرائي: حيث توصلت من خلاله الى الروايات الصحيحة الواردة في بيان صور الابتلاء التي تعرض لها النبي ﷺ في حياته واختيار نماذج منها.

المنهج الاستنباطي: اتبعته في استنباط الضوابط والقواعد التي واجه بها النبي ﷺ ما نزل به من البلاء بمختلف صوره.

ثانيا: اتبعت في إعداد هذا البحث المنهج التالي:



١- عزو الآيات الواردة في البحث إلى مواضعها في القرآن الكريم بذكر اسم السورة ورقم الآية مع رسمها رسما عثمانيا.

٢- عزو الأحاديث النبوية إلى مصادرها والحكم على ما هو خارج الصحيحين.

٣- الترجمة للأعلام المذكورين في صلب البحث ماعدا المشهورين.

٤- شرح الألفاظ الغريبة الواردة في ثنايا البحث.

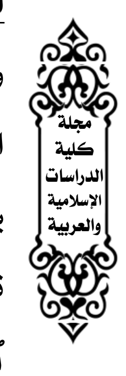
٥- التعريف بالأماكن والبلدان والأنساب التي ورد ذكرها في ثنايا البحث.

٦- اختيار نماذج من صور الابتلاء التي تعرض لها النبي ﷺ في حياته على سبيل التمثيل لا الحصر.

٧- الاكتفاء عند النقل أو الاستفادة من أي مصدر أو مرجع بذكر اسم الكتاب والمؤلف ورقم الجزء -إن وجد- والصفحة وأما بيانات الكتاب كاملة فقد التزمت بذكرها في فهرس المصادر والمراجع في آخر البحث؛ لعدم التكرار.

٨- استعمال لفظ (راجع) لدلالة القارئ على الاطلاع على المرجع نفسه أو مراجع أخرى للاستزادة.

٩- استعمال لفظ (أنظر) عند الإحالة للمصادر والمراجع إذا كان النقل بالمعنى أو مختصرا.



المبحث الأول

الابتلاء تعريفه، وأحوال الناس معه، وحكمه، وثماره

المطلب الأول: تعريف الابتلاء والفرق بينه وبين البلاء:

أولا: تعريف الابتلاء: الابتلاء في اللغة: مأخوذ من مادة (ب ل و) التي تدل على نوع من الاختبار. ويكون البلاء بالخير والشر، واللّه ﷻ يبلي العبد بلاء حسنا وبلاء سيئا، وذلك راجع إلى معنى الاختبار؛ لأنه بذلك يختبر صبره وشكره، وبلوته تأتي أيضا بمعنى جزيته [١] يقال (بلوت الرجل بلوا وبلاء وابتليته: اختبرته) [٢]فالابتلاء هو الامتحان والتمحيص والاختبار [٣]، ويدل على ذلك قول الله تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾ [البقرة:١٥٥].

وأما من حيث الاصطلاح الشرعي: "فهو ما يصيب الإنسان من أذى في ماله، أو نفسه، أو عرضه في الحياة التي يعيشها". فالابتلاء هو المظهر العملي لعلاقة العبودية بين الله ﷺ والعبد، وهذه الحياة التي نعيشها هو الزمن المقرر لهذا الابتلاء[٤] فهو التكليف في الأمر الشّاقّ، وقد يكون في الخير

(١) انظر: مقاييس اللغة، لابن فارس ،٤/ ٤٧٢.

(٢) انظر: لسان العرب، لابن منظور: ١٤/ ٨٣.

(٣) راجع: الابتلاءات أساليب الكفرة في محاربة الدعوة في عصر النبوة، حمود بن عبد الله المطر، ص:٨، الابتلاء وأثره في حياة المؤمنين كما جاء في القرآن الكريم، إعداد: محمد ميرغني محمد صالح، موقع الرقية الشرعية على منهج أهل السنة والجماعة تحت إشراف أبو البراء أسامة بن ياسين المعاني ص: ١٩: ١٧، الابتلاء وأثره في حياة المسلم، إيمان النجدي، موقع صيد الفوائد، ص:٢.

(٤) الابتلاءات أساليب الكفرة في محاربة الدعوة في عصر النبوة، حمود بن عبد الله المطر ص:٨، الابتلاء وأثره في حياة المؤمنين كما جاء في القرآن الكريم إعداد: محمد ميرغني محمد صالح، موقع الرقية الشرعية على منهج أهل السنة والجماعة تحت إشراف أبو البراء أسامة بن ياسين المعاني ص: ١٩: ١٧، الابتلاء وأثره في حياة المسلم، إيمان النجدي، ص:٢.

والشر معًا، ولكنهم عادة ما يقولون: في الخير أبليته إبلاء وفي الشر: بلوته بلاء [(١)].

ثانيا: الفرق بين الابتلاء والبلاء: لقد وردت الكثير من التفسيرات التي تفرق بين معنيي البلاء، والابتلاء إلا أنها لم تستند على أي دلائل تثبت أنهما كلمتان مختلفتان في المعنى، بل هما يحملان نفس المعنى الواحد إذ كلاهما من عند الله ﷻ يبلونا بهما سواء بالخير أو بالشر. وباستقراء السياق القرآني نجد أن مادة البلاء، والابتلاء قد استخدمت -في الأغلب الأعم -بمعنى الاختبار والامتحان بالنعمة أو المحنة، أو بهما معا، تستوي في ذلك الآيات المكية، والآيات المدنية[(٢)]. فمن الابتلاء بالنعم قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ﴾[الفجر:١٥]، ومن الابتلاء بالنقم قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴾[الفجر:١٦]، وقد يجمع الابتلاء بالسراء والضراء في آية واحدة كقوله تعالى ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[الأعراف:١٦٨] [(٣)].

فالتفريق بين البلاء والابتلاء أمر يصعب تحديده بالتفصيل؛ لكونهما يلتقيان في المعنى في أغلب الأمور وذلك في كونهما يشملان الإنسان المسلم والكافر وحياتهما بكل جوانبها، بالإضافة إلى انه سبب في فضح خبايا المنافقين فتزيد من خبثهم وبعدهم عن الحق، وقد يفترقان في أن الابتلاء خاص بالمسلمين الطائعين حيث ابتلى الله الكثير من عباده الصالحين بالمصائب ؛ليبتلي صبرهم وإحسانهم، وبعد ذلك عوضهم خيراً مما أخذ منهم وحياة الأنبياء والصالحون حافلة بالكثير من

(١) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأبي البقاء الكفوي، ص:٣٤.

(٢) هو الحسن بن أبي الحسن يسار، أبو سعيد، مولى زيد بن ثابت الأنصاري، ويقال مولى أبي اليسر كعب بن عمرو السلمي. {أس طبقة التابعين وإمام أهل البصرة راجع ترجمة مطولة له: سير أعلام النبلاء، للذهبي، ٤/ ٥٦٣-٥٨٨.

(٣) البيان والتبيين، أبو عثمان الجاحظ،٣/ ١٣٧.



النماذج، وكفانا في ذلك سيرة سيدنا محمد ﷺ وما تعرض له من ابتلاءات فمكن الله له بعد ذلك.

المطلب الثاني: أحوال الناس مع البلاء:

إن الابتلاءات التي يتعرض لها المسلم في حياته بما فيها من مشقةٍ وشدةٍ وعسر ومعاناة، إلا أن فيها تمحيص لأهل الإيمان، وفضح لأهل الخيانة والنفاق. قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴾[الحج:١١].

قال الحسن البصري رحمه الله[(١)]: " الناس ما داموا في عافية مستورون، فإذا نزل بهم بلاء صاروا إلى حقائقهم؛ فصار المؤمن إلى إيمانه، وصار المنافق إلى نفاقه"[(٢)]، فالله تبارك وتعالى يبتلي عباده جميعًا، مؤمنهم وكافرهم، وبرّهم وفاجرهم، فكل يأتيه من المصائب والبلايا نصيب، فهذا يُبتلَى بمرض مُزْمِن، وذاك يُصاب بجائحة في ماله ،أو ولده، وهنا مُبتلَى بموت قريب، وهناك مصاب بفقد حبيب ،إلا أن الناس في استقبال هذه المصائب والرزايا يختلفون، فمنهم من يستقبلها بالسخط والجزع قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ﴾[الحج: ١١]، ولا حول ولا قوة إلا بالله، فهذا بشرّ المنازل وأدناها، ومنهم من يصبر ويصابر حيث أمر الله تعالى بالصبر في قوله: ﴿وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[سورة:٤٦]، ومنهم من يرضى ويستسلم والمراد: بأن يرضى الإنسان بالمصيبة، وهي مرتبة أعلى من الصبر بحيث يكون وجودها وعدمها سواء بالنسبة لقضاء الله وقدره، وهذه مستحبة وليست بواجبة على القول الراجح[(١٢)]، ومنهم من يشكر الله ويحمده فهذا أكمل الأحوال وأعلاها، وذلك أن يشكر الله على ما أصابه من مصيبة، ليكون في عباد الله الشاكرين، حين يرى أن

(١) راجع: القول المفيد على كتاب التوحيد للشيخ محمد بن صالح العثيمين، ج٢/ ص:٢١٥، مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ج١٧/ ٤٦٧، وانظر: خلاصة الكلام في أحكام علماء البلد الحرام، لمجموعة من الأئمة الأعلام، إعداد أبي عبد الرحمن عادل بن سعد، ص:١٦.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب المرضى، باب ما جاء في كفارة المرض، (٥/ ٢١٣٧) رقم (٥٣١٨).

هناك مصائب أعظم منها، وأن مصائب الدنيا أهون من مصائب الدين، وأن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة، وأن هذه المصيبة سبب لتكفير سيئاته، وربما لزيادة حسناته، لقوله ﷺ: "ما يصيب المسلم من نصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه" (١٣) .

المطلب الثالث: الحكمة من الابتلاء:

جعل الله سبحانه الابتلاء سنة في هذا الكون على جميع الخلق برهم وفاجرهم، فأفعاله كلها لا تكون إلا عن علم وحكمة، منها ما نعرفه وتكون ظاهرة لنا، ومنها ما تقصر عقولنا وأفهامنا عن إدراكها.

فمن تلك الحكم الظاهرة:

١- **تحقيق العبودية لله رب العالمين:** قال الله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات:٥٦] فبين الله ﷻ في هذه الآية الكريمة أن الغاية العظمى من خلق الجن والإنس هو عبادة الله وحده لا شريك له، وتحقيقا لهذه العبودية فإن الله تعالى يختبر عباده بالابتلاء بالشدائد والنوازل، فالمؤمن يصبر ويجزع تحسّبًا لوجه الله تعالى مهما كانت مصيبته قال ابن القيم رحمه الله (١): (فلولا أنه سبحانه يداوي عباده بأدوية المحن والابتلاء لطغوا وبغوا وعتوا، والله سبحانه إذا أراد بعبد خيراً سقاه دواء من الابتلاء والامتحان على قدر حاله، يستفرغ به من الأدواء المهلكة، حتى إذا هذبه ونقاه وصفاه أهّله لأشرف مراتب الدنيا، وهي عبوديته، وأرفع ثواب الآخرة وهو رؤيته وقربه) (٢) .

---

(١) هو الإمام محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزرعي ثم الدمشقي الفقيه، الأصولي، المفسر، النحوي، العارف، شمس الدين أبو عبد الله بن قيم الجوزية، ولد سنة ٦٩١هـ، تفقه في المذهب الحنبلي وبرع فيه وأفتى، صنف تصانيف كثيرة في أنواع العلم، وتوفي عام ٧٥١هـ

انظر في ترجمته: ذيل طبقات الحنابلة، للحافظ ابن رجب،٥/ ١٧٠-١٧٥.

(٢) انظر: زاد المعاد، لابن القيم الجوزية،٤/ ١٩٥.



٢- **تمحيص المؤمنين عن المنافقين، وتمييز الخبيث من الطيب.** قال تعالى: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾[العنكبوت:٢-٣]، وقال عز وجل ﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِۗ ﴾[آل عمران: ١٧٩] أصل المحص: تخليص الشيء مما فيه عيب[١] فالتمحيص هنا كالتزكية والتطهير، ونحو ذلك من الألفاظ. فالمؤمن يمحص حتى يصدق، ويبتلى ويختبر حتى يخلص بالبلاء الذي نزل به، وكيف صبره ويقينه[٢] قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله[٣]: " وليست البلايا والمصائب تأتي من طاعة الله ورسوله، كما يظن بعض الجهال؛ فإن هذه جزاء أصحابها خيري الدنيا والآخرة". [٤]

٣- **إعداد للمؤمنين للتمكين في الأرض:** قال الله تعالى ﴿ وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةً يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴾[السجدة :٢٤]، قال الشيخ السعدي رحمه الله[٥] في

(١) انظر: المفردات في غريب القران، للراغب الأصفهاني، ص: ٤٦٤.

(٢) انظر: المرجع السابق.

(٣) هو شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله بن تيمية الحراني عني بالحديث وبالعلوم الأخرى التي برع فيها وصنف التصانيف الكثيرة التي يصعب إحصاؤها، توفي بدمشق عام ٧٢٨هـ.

راجع في ترجمته: ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية لمؤرخ الإسلام الحافظ الذهبي رحمهما الله تعالى من الدرة اليتيمية من السيرة التيمية، تحقيق: د. خالد بن سليمان بن علي الربعي ومعه جمع لتراجم الذهبي لابن تيمية ورثاء الذهبي لابن تيمية مع بعض أشعاره وذكر الذهبي لابن تيمية في كتبه وبعض تساؤلاته، وسماعات الذهبي من ابن تيمية.

(٤) انظر: الحسنة والسيئة، لابن تيمية، ص:٤٤.

(٥) هو الشيخ العلامة أبو عبد الله عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر السعدي ويعرف بـ (ابن سعدي) ولد في بلدة عنيزة بالقصيم سنة ١٣٠٧هـ، عرف بذائه ورغبته الشديدة في التعلم، صاحب كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، توفي عام ١٣٧٦هـ.

تفسيره: "والمؤمنون به منهم على قسمين: أئمة يهدون بأمر الله، وأتباع مهتدون بهم والقسم الأول أرفع الدرجات بعد درجة النبوة، والرسالة وهي درجة اليقين، وإنما نالوا هذه الدرجة العالية بالصبر على التعلم والتعليم، والدعوة إلى الله، والأذى في سبيله، وكفوا أنفسهم عن جماحها في المعاصي، واسترسالها في الشهوات"(١).



قال الله تعالى: ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾[الأحزاب:٢٣] إذ أن قيادة البشرية والأخذ بيدها إلى نور الهداية والخير يحتاج إلى جيل فريد، لا يهتز أمام الابتلاءات، ولا يضعف أمام المحن، ولا شك أن ذلك يحتاج إلى رجال مؤمنين صادقين، صابرين محتسبين، ثابتين على الحق لا يستعجلون الثمرات والنتائج، قيل للإمام الشافعي رحمه الله (٢): أَيّهما أَفضل: الصَّبر أو المِحنة أو التَّمكين؟ فقال: التَّمكين درجة الأنبياء، ولا يكون التَّمكين إلا بعد المحنة، فإذا امتحن صبر، وإذا صبر مكن(٣).

٤- **التخلص من آفات النفوس والعجب بالنفس**: قال الله تعالى: ﴿ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ

راجع في ترجمته: فتح الجليل في ترجمة وثبت شـيخ الحنابلة عبد الله بن عبد العزيز العقيل، التكلة، ص: ٣٥٩-٣٦٢، علماء نجد خلال ستة قرون، للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام، ٣/ ٢١٨.

(١) تيسير الكريم الرحمن، لابن سعدي، ص: ٦٥٦.

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن إدريس الشـافعي المطلبي القرشـي، ثالث الأئمة الأربعة عند أهل السـنة والجماعة، وصاحب المذهب الشافعي في الفقه الإسلامي، ومؤسس علم أصول الفقه وبرع في علم التفسير والفقه وغيرها من العلوم، أثنى عليه كثير من العلماء توفي سنة ٢٠٤هـ-٨٢٠م.

راجع في ترجمته: سـير أعلام النبلاء، للذهبي ،٨/ ٢٣٦، الشـافعي حياته وعصـره-آراؤه وفقهه، للإمام محمد أبو زهرة، طبقات الشافعيين، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت:٧٧٤)، ترجمة الإمام الشافعي رحمه الله .

(٣) انظر: إحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالي، ١/ ٢٦.



ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾[آل عمران: ١٤١].

في هذه الآية الكريمة دلالة واضحة على أن من حكم نزول البلاء على العباد:

١ -**تنقية المؤمنين وتخليصهم من الذنوب ومن آفات النفوس، وتمييزهم عن المنافقين.** ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٖ وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ ﴾ [التوبة :٢٥]، قال ابن القيم رحمه الله: "حيث اقتضت حكمته سبحانه أن أذاق المسلمين أولاً مرارة الهزيمة والكسرة مع كثرة عَدَدِهم وعُدَدِهم وقوة شوكتهم؛ ليضع رؤوسا رفعت بالفتح ولم تدخل بلده وحرمه كما دخله رسول الله واضعا رأسه منحنيا على فرسه حتى إن ذقنه تكاد تمس سرجه تواضعا لربه وخضوعا لعظمته واستكانة لعزته " (١).

٢ -**محق وهلاك الكافرين** "إذ جرت سنّة الله تعالى إذا أراد أن يهلك أعداءه ويمحقهم قيّض لهم الأسباب التي يستوجبون بها هلاكهم ومحقهم، ومن أعظمها بعد كفرهم: بغيهم وطغيانهم في أذى أوليائه، ومحاربتهم، وقتالهم، والتسليط عليهم "(٢).

المطلب الرابع: ثمرات الابتلاء:

من المعلوم أن المحن التي يواجهها المســلم هي نوع من الابتلاءات التي يبتلي الله بها عباده، وعندما يتعرض المسلم للمحن والبلايا فلا شك أن في ذلك فوائد كثيرة يريدها الله منها:

١ -**الإيمان بقضاء الله وقدره واليقين بأنه لا ينفع ولا يضر الا الله** قال الله تعالى ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾[التكوير: ٢٨-٢٩]، والمراد هو أن نؤمن بأن كل ما يحدث في الكون فهو بمشيئة الله فما شاء الله كان، ومالم يشأ لم يكن، فإذا آمن العبد

(١) انظر: زاد المعاد، (٣/ ٤٧٧).

(٢) انظر: محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، (٤/ ٢٣٩).

بهذا سلم من عمل الشيطان عندما يواجه ما يعرضه من آلام ومصائب ومحن سواء في النفس، أو المال، أو الأهل والولد يكون مؤمنا ثابتا راسخا، وصابرا محتسبا." وفائدة هذا الإخبار، هو الإعلام بالافتقار إلى الله تعالى، وأنه لا قدرة للعبد على مالم يقدره الله عز وجل. فهو خاضع لسلطان مشيئته، مقهور تحت تدبيره وإرادته" [١].



٢-**تكفير الذنوب ومحو السيئات:** قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَحۡسَنَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾[العنكبوت:٧]، فقد أخبر الله سبحانه أنه يريد تمحيص المؤمنين أي: تخليصهم من ذنوبهم، بالتوبة والرجوع إليه، واستغفاره من الذنوب التي أُديل بها عليهم العدو[٢].

وكما بين الله سبحانه وتعالى تكفيره لسيئات المؤمنين في كتابه، كذلك بينه لسان رسوله ﷺ، في أحاديث كثيرة منها: ما روته عائشة -رضي الله عنها- أن رسول الله ﷺ قال: " ما من مصيبة تصيب المسلم إلا كفر الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها"[٣].

وعن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة -رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ قال: "ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب، ولا هم، ولا حزن، ولا أذى، ولا غم، حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه"[٤].

فهذه الأحاديث وغيرها تدل على أن المصائب والفتن التي تصيب المؤمن أنها من الله، حيث لا

---

(١) انظر المرجع السابق، (٩/ ٤٢١).

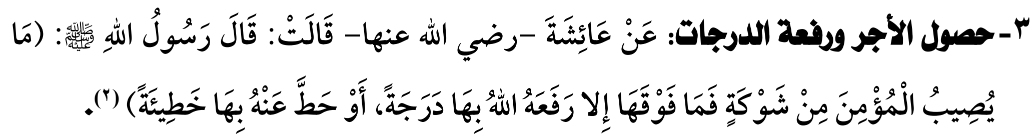
(٢) راجع: إغاثة اللهفان، لابن القيم الجوزية، (٢/ ١٩١).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب المرضى، باب ما جاء في كفارة المرض، (٧/ ١١٤)، رقم(٥٦٤٠)، وأخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض، أو حزن أو نحو ذلك حتى الشوكة يشاكها، (٤/ ١٩٩٠) رقم(٢٥٧٢).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب المرضى، باب ما جاء في كفارة المرض (٧/ ١١٤)، رقم(٥٦٤٠)، وأخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض، أو حزن أو نحو ذلك حتى الشوكة يشاكها، (٤/ ١٩٩٠) رقم(٢٥٧٣).

يقع في الكون كائن بغير مشيئته الحكيمة، ومن ذلك أن الله أعد للمؤمن فيها خيراً عظيمـًا، سواء بتكفير السيئات، أو برفعة الدرجات، إن صبر واحتسب، وإلا فيكون فتنة لغيره. قال ابن القيم -رحمه الله- " إن ابتلاء المؤمن كالدواء له، يستخرج منه الأدواء التي لو بقيت فيه أهلكته، أو نقصت ثوابه، وأنزلت درجته؛ فيستخرج الابتلاء والامتحان منه تلك الأدواء، ويستعد به لتمام الأجر وعلو المنزلة، ومعلوم أن وجود هذا خير للمؤمن من عدم"(١).




٣- **حصول الأجر ورفعة الدرجات**: عَنْ عَائِشَةَ -رضي الله عنها- قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ شَوْكَةٍ فَمَا فَوْقَهَا إِلا رَفَعَهُ اللهُ بِهَا دَرَجَةً، أَوْ حَطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةً) (٢).

في هذا الحديث دلالة على أن البلاء ينزل على المؤمنين لرفع درجاتهم، وزيادة حسناتهم، كما هو الحال في ابتلاء الله سبحانه وتعالى لأنبيائه، فقد كانوا أشد الناس ابتلاءً، حتى تتضاعف أجورهم، وتتكامل فضائلهم، ويظهر للناس مدى صبرهم ورضاهم، فيُقتدى بهم في صبرهم واحتسابهم؛ ليُميّز الله -تعالى-المؤمنين عن المنافقين، حيث قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [العنكبوت:٣].

٤- **رجوع العبد إلى ربه تبارك وتعالى** : قال الله تعالى : ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[السجدة:٢١]، والعذاب الأدنى هو نكد الدنيا ونغصها وما يصيب الإنسان من سوء وشر (٣). إذ أن حكمة الله تعالى في خلقه اقتضت أن يعرضهم للاختبار محبة لهم، ورعاية لهم، فيسوق إليهم الرحمة في أثناء المصيبة؛ ليهتدي الضال، وينتبه الغافل، وتقوم الحجة على الكافرين قال السعدي رحمه الله :" ولما كانت الإذاقة من العذاب الأدنى في الدنيا

---

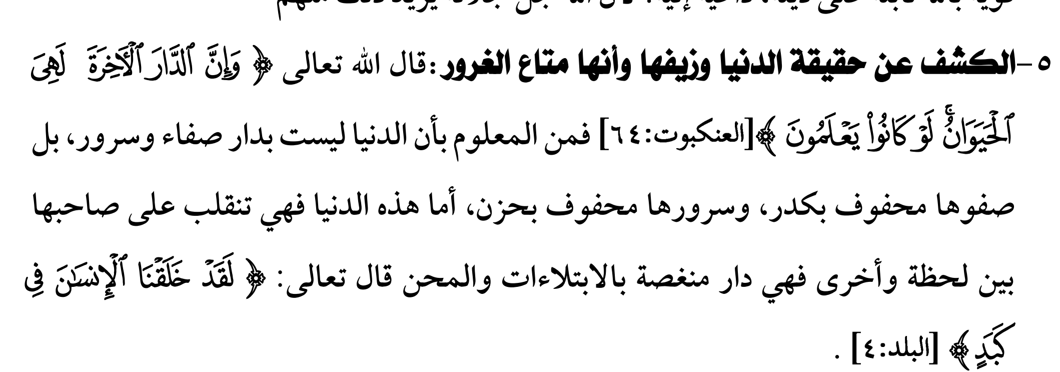
(١) إغاثة اللهفان: ٢/ ٨٨.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن، (٤/ ١٩٩١) رقم (٢٥٧٢).

(٣) راجع: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٦/ ٣٦٩)، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير أبو بكر الجزائري، (٤/ ٢٣٢).

قد لا يتصل بها الموت، فأخبر تعالى أنه يذيقهم ذلك لعلهم يرجعون إليه ، ويتوبون من ذنوبهم [1]. قال تعالى: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾[العنكبوت:٢] يخبر تعالى عن تمام حكمته وأن حكمته لا تقتضي أن كل من قال" إنه مؤمن" وادعى لنفسه الإيمان ، أن يبقوا في حالة يسلمون فيها من الفتن والمحن ولا يعرض لهم ما يشوش عليهم إيمانهم وفروعه، فإنهم لو كان الأمر كذلك لم يتميز الصادق من الكاذب، والمحق من المبطل"[2]، فسنة الابتلاء ليست شراً بالمؤمنين لأنه خير يسوقه الله لعباده؛ ليعودوا إليه بعزة الإيمان، ويعودوا إلى ربهم ضارعين يلجؤون إليه بقلوب مرتبطة به، تذكره وتشكره وتلهج بذكره، قوية بالله ثابتة على دينه، داعية إليه؛ لأن الله جل جلاله يريد ذلك منهم .





٥- **الكشف عن حقيقة الدنيا وزيفها وأنها متاع الغرور**:قال الله تعالى ﴿ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِيَ ٱلْحَيَوَانُۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾[العنكبوت:٦٤] فمن المعلوم بأن الدنيا ليست بدار صفاء وسرور، بل صفوها محفوف بكدر، وسرورها محفوف بحزن، أما هذه الدنيا فهي تنقلب على صاحبها بين لحظة وأخرى فهي دار منغصة بالابتلاءات والمحن قال تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ﴾ [البلد:٤] .

" وفيه تسلية للنبي صلوات الله وسلامه عليه، مما كان يكابده من قريش، من جهة أن الإنسان لم يخلق للراحة في الدنيا. وأن كل من كان أعظم فهو أشد نصبا"[3]. فإذا تيقن العبد حقيقة الدنيا وسرعة تقلبها أعد العدة لذلك بالإنابة إلى الله، والإقبال عليه، والإكثار من التضرع والدعاء، والتطهر من الذنوب والخطايا؛ لأن الله هيأ لعباده المؤمنين منازل في دار كرامته لا تبلغها أعمالهم، فقيض لهم أسباب الابتلاء والمحن؛ ليصلوا إليها.

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لابن سعدي، ص: ٦٥٦.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص: ٦٢٦.

(٣) انظر: محاسن التأويل، للقاسمي، (٩/ ٤٧٦).

٦-**زيادة واستمرار الإخلاص في نفس المؤمن:** فقد أخبر الله تعالى عن هذه الحقيقة مع المؤمنين عندما قال: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ [البقرة:١٥٥-١٥٦]، لأن الإنسان الذي يصاب بالابتلاء يشعر بالعجز والضعف، ويحس بحاجته وفقره إلى خالقه سبحانه، فيرجع إليه يستلهم منه العزة والنصر والتأييد، وعن أم سلمة رضى الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول (إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيرًا منها) إلا آجره الله في مصيبته، وأخلف له خيرًا منها"، وقالت فلما تُوفِّى أبو سلمة قلت كما أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخلف الله لي خيرًا منه، رسول الله ﷺ(١).



ولقد وعى الصحابة الكرام رضوان الله عليهم جميعًا هذه الدروس من رسول الله ﷺ فكان أمرهم كله لهم خيرا، إن أصابتهم سرَّاء شكروا، وإن أصابتهم ضرَّاء صبروا(٢).

٧-**التذكير بفضل نعمة المنعم سبحانه بالصحة والعافية:** إنَّ العبد المؤمن حين تصيبه الابتلاءات والمحن يتذكر نعم الله تعالى العظيمة التي كان يتمتع بها سنين طويلة ولم يقدرها حق قدرها ولم يشكر المنعم عز وجل عليها حق شكره، فتشرح له تلك الابتلاءات بأبلغ بيان معنى تلك النعم التي كان يتمتع بها، ويتذوق حلاوتها، فيكون البلاء بفقدها سببًا في شكر الله سبحانه عليها.

٨-**تذكر أهل الشقاء والمحرومين والإحساس بآلامهم والعطف عليهم:** الابتلاء يربط بين المؤمنين

(١) أخرجه مسلم، كتاب الجنائز، باب ما يقال عند المصيبة، (٣/ ٣٧)، رقم (٩١٨).

(٢) قال شريح: ما أصيب عبد بمصيبة إلا كان لله عليه فيها ثلاث نعم: ألا تكون كانت في دينه، وألا تكون أعظم مما كانت، وأنها كائنة فقد كانت.

انظر: كتاب الشكر، لابن أبي الدنيا، (١/ ٣٠)، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، للزرعي، (١/ ١٠٠).

بربط قوي عقلي وعاطفي، إذ بالابتلاء تصل عقول المؤمنين إلى حقيقة البناء الإسلامي المتراص، وأن الابتلاء يكسب هذا البناء قوة وصلابة، وأن الذين يبتلون من أجل إيمانهم، إنما يسهمون بأعز ما يملكون من التضحية بالنفس والمال، فإن التضحية والألم أدعى إلى تحقيق المشاركة والتعاون، فالابتلاء يحقق الرباط العاطفي، لأن الإنسان ينسى من يشاركه في المناسبة السعيدة، ولكنه لا ينسى من شاركه في الألم والمصيبة.

٩ـ**الشوق إلى الجنة**: لن يشتاق العبد إلى الجنة إلا إذا ذاق مرارة الدنيا، إذ كيف يشتاق لها وهو هانئ فيها؟

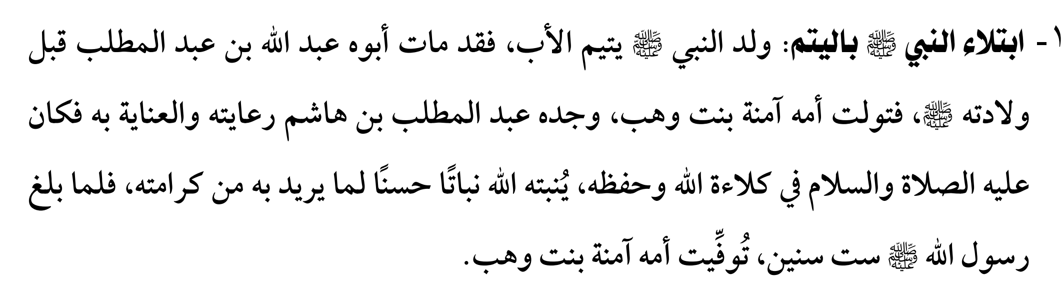
مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

المبحث الثاني

نماذج من صور الابتلاء التي واجهت النبي محمد ﷺ في حياته وكيفية تعامله معها

المطلب الأول: ابتلاؤه ﷺ في نفسه.

فقد ابتلى الله عز وجل رسوله الكريم في نفسه بصور كثيرة من الابتلاءات العظيمة التي لا يسعنا في هذا المقام إلا ذكر نماذج منها على سبيل التمثيل لا الحصر:



١- **ابتلاء النبي ﷺ باليتم**: ولد النبي ﷺ يتيم الأب، فقد مات أبوه عبد الله بن عبد المطلب قبل ولادته ﷺ، فتولت أمه آمنة بنت وهب، وجده عبد المطلب بن هاشم رعايته والعناية به فكان عليه الصلاة والسلام في كلاءة الله وحفظه، يُنبته الله نباتًا حسنًا لما يريد به من كرامته، فلما بلغ رسول الله ﷺ ست سنين، تُوفِّيت أمه آمنة بنت وهب.

فكفَله جدُّه عبد المطلب، وأحسن إليه، ثَم لم يلبث عبد المطلب أن مات والنبي ﷺ في الثامنة من عمره، ليزداد حزنًا على حزنه، بأبي وأمي هو صلوات ربي وسلامه عليه. فكفله بعد وفاة جده عبد المطلب عمه أبو طالب، وقد كان رجلا فقيرا ذو عيال فأعانه ﷺ برعي الغنم وهو طفل صغير(١).

ويعد هذا من أعظم الابتلاءات لمن يفتح عينيه على الحياة ويشب، وينظر حوله فلا يجد له أبا يعينه على مصاعب الحياة، ويخفف عنه ما يلقاه من شرور، ويقف بجانبه ويحميه من مكائد الكائدين، ويصبر على تربيته، وتعليمه ولكنها حكمة الله تعالى الذي رباه وعلمه وكلأه وحماه ورعاه، فلم تكن رعاية وتعليم بشر ولكنها رعاية وحماية الله تعالى له.

فواجه عليه الصلاة والسلام هذا الابتلاء الكبير بالصبر، والشعور بالمسؤولية، فعرف عليه الصلاة والسلام في بني قومه بالاستقامة، والأمانة، وحسن الخلق، وطهارة النفس، فاقتضت

---

(١) راجع: الموسوعة في صحيح السيرة النبوية، أبو إبراهيم، محمد الياس عبد الرحمن الفالوذة، ص:١٤٠، السيرة النبوية، لابن هشام، (١/ ١٦٨).

حكمة الله تعالى بأن يتحول ذلك البلاء وتلك المحنة إلى منحة ربانية وأن يكون ﷺ هو النبي المرسل الذي اصطفاه الله تعالى لتبليغ رسالته للناس أجمعين.

٢- **ابتلاؤه ﷺ بالمرض**: عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: دخلت على رسول الله ﷺ وهو يوعك وعكا شديدا فمسسته بيدي فقلت: يا رسول الله إنك توعك وعكا شديدا فقال رسول الله ﷺ: "أجل إني أوعك كما يوعك رجلان منكم" فقلت: ذلك أن لك أجرين؟ فقال رسول الله ﷺ: "أجل" ثم قال رسول الله ﷺ: "ما من مسلم يصيبه أذى مرض فما سواه إلا حط الله سيئاته كما تحط الشجرة ورقها"[١]، أي "أن المرض إذا اشتد ضاعف الأجر ثم زاد عليه بعد ذلك أن المضاعفة تنتهي إلى أن تحط السيئات كلها" [٢].

فقد ابتلى النبي ﷺ بأن كان مرضه أشد من مرض غيره، وحماه أشد من حمى سواه، والألم الذي يعانيه ليس كالألم الذي يعانيه الناس في حال إصابتهم بالمرض، وعلى الرغم من ذلك فإنه ﷺ لم يتسخط، ولم يضق صدره، بل كان يواجه ذلك الابتلاء بالصبر، واحتساب الأجر، ورجاء حلول المغفرة، والرحمة من الله تعالى.

٣- **ابتلاؤه ﷺ بالفقر**: عن عائشة –رضي الله عنها– قالت: " إن كنا لننظر إلى الهلال ثلاثة أهلة في شهرين وما أوقدت في أبيات رسول الله ﷺ نار" [٣]. وقالت –رضي الله عنها–:" ما شبع آل محمد ﷺ منذ قدم المينة من طعام بر ثلاث ليال تباعا حتى قبض[٤].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب المرضى باب أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، (٧/ ١٤٩) رقم (٥٦٤٨).

(٢) انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري بدر الدين العيني، (٢١/ ٢١٢).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، باب القليل من الهبة، (٢/ ١٨٢) رقم(١١٦٦).

(٤) أخرجه البخاري كتاب الزهد والرقاق باب كيف كان عيش النبي ﷺ (٨/ ٩٧) رقم (٦٤٥٦)، ومسلم، كتاب الزهد والرقاق باب كيف كان عيش النبي ﷺ (٤/ ٢٢٨١) رقم (٢٩٧).



وعن أنس ﷺ قال: "ما أعلم النبي ﷺ رأى رغيفا مرققا حتى لحق بالله، ولا رأى شاة سميطا [١] بعينه قط"[٢]. وكان نبينا صلى الله عليه وسلم يطوي الأيام، ويعصب على بطنه الحجر من الجوع، إيثارا منه شظف العيش والصبر عليه، مع علمه بأنه لو سأل ربه أن يسير له جبال تهامة ذهبا وفضة لفعل، وعلى هذه الطريقة جرى الصالحون"[٣] فمع أنه عليه الصلاة والسلام كان يحب الطعام الطيب، والشراب الطيب، لكنه لا يجده من قلة ذات اليد وهو نبي هذه الأمة، وسيد ولد آدم، فما كان منه إلا الصبر على شظف العيش، وألم الحرمان كما أخبر عنه أقرب الناس إليه، وألصقهم به ﷺ زوجه عائشة، وخادمه أنس رضي الله تعالى عنهما

٤ - **ابتلاؤه ﷺ بأكل الشاة المسمومة**: عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: لما فتحت خيبر[٤] أهديت للنبي صلى الله عليه وسلم شاة فيها سم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "اجمعوا إلى من كان ها هنا من يهود" فجمعوا له، فقال: "إني سائلكم عن شيء، فهل أنتم صادقي عنه؟"، فقالوا: نعم، قال لهم النبي ﷺ:" من أبوكم؟"، قالوا: فلان، فقال:" كذبتم، بل أبوكم فلان"، قالوا: صدقت، قال: "فهل أنتم صادقي عن شيء إن سألت عنه؟"، فقالوا: نعم يا أبا القاسم، وإن كذبنا عرفت كذبنا كما عرفته في أبينا، فقال لهم:" من أهل النار؟ "قالوا: نكون فيها يسيرا، ثم تخلفونا فيها، فقال النبي

---

(١) قوله (مرققا) قال ابن الأثير: هو الأرغفة الواسعة الرقيقة، يقال: رقيق ورقاق كطويل وطوال. قوله (سميطا) أي: مشويا. انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لبدر الدين العيني، (٢٣/ ٦١).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب، باب شاة مسموطة والكتف والجنب، (٧/ ٧٦) رقم (٥٤٢١)، وفي كتاب الزهد والرقاق باب كيف كان عيش النبي ﷺ (٨/ ٩٧) رقم (٦٤٥٧).

(٣) انظر: شرح صحيح البخاري، لابن بطال، (١٠/ ١٧٦).

(٤) (خيبر) بخاء معجمة مفتوحة وياء ساكنة وياء موحدة مفتوحة وآخره راء مهملة، بلد تقع على بعد (١٧١) كيلا شمال المدينة على طريق تبوك لمن يريد الشام، فتحت بعد صلح الحديبية مباشرة في أول المحرم سنة ٧هـ. راجع: أطلس الحديث النبوي من الكتب الصحاح الستة أماكن وأقوام، د. شوقي أبو خليل، ص:١٦٨، معجم الأمكنة الوارد ذكرها في صحيح البخاري سعد بن جنيدل، ص:٢١٥.

صلى الله عليه وسلم: "خسئوا فيها، والله لا نخلفكم فيها أبدا"، ثم قال: "هل أنتم صادقي عن شيء إن سألتكم عنه؟"، فقالوا: نعم يا أبا القاسم، قال:" هل جعلتم في هذه الشاة سما؟"، قالوا: أردنا إن كنت كاذبا نستريح، وإن كنت نبيا لم يضرك [1].



لما اطمأنَّ رسول الله ﷺ بخيبر بعد فتحها، أهدت له زينب بنت الحارث – امرأة سلام بن مشكم[2] –شاةً مصليةً، وقد سألت أي عضو من الشاة أحب إلى رسول الله ﷺ؟ فقيل لها: الذراع، فأكثرت فيها من السم، سمت سائر الشاة، ثم جاءت بها، فلما وضعتها بين يدي رسول الله ﷺ تناول الذراع، فلاك منها مضغةً، فلم يسغها، ومعه بشر بن البراء بن معرور، قد أخذ منها كما أخذ رسول الله ﷺ، فأما بشر فأساغها، وأما رسول الله ﷺ فلفظها، ثم قال: إن هذا العظم ليخبرني أنه مسموم، ثم دعا بها، فاعترفت، فقال: ما حملك على ذلك؟ قالت: بلغت من قومي ما لم يخفَ عليك، فقلت: إن كان ملكًا استرحت منه، وإن كان نبيًّا، فسيخبر، قال: فتجاوز عنها رسول الله ﷺ ومات بِشْر من أكلته التي أكل -فقتلها النبي ببشر قصاصا [3]. أما النبي عليه الصلاة والسلام فقد سرى السم في جسده الشريف فعانى منه صداعا شديدا، وألما فظيعا، وهو صابر محتسب لسنوات حتى قطع السم عرق قلبه فمات ﷺ متأثرا به لما ثبت في الصحيح عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: " كان النبي ﷺ يقول في مرضه الذي مات فيه:" يا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلته بخيبر

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الجزية، باب إذا غدر المشركون بالمسلمين هل، (٤/ ٩٩) رقم (٣١٩٦).

(٢) هي امرأة يهودية يقال إنها أخت مرحب اليهودي الذي قتل يوم خيبر وقيل قتل أبوها الحارث وعمها بشار وأخوها زبير وزوجها سلام بن مشكم، راجع: تعليق د. مصطفى ديب البغا على صحيح البخاري، (٣/ ١١٥٦).

(٣) راجع: سيرة ابن هشام، (٢/ ٣٣٨)، الرحيق المختوم، للمبار كفوري، (١/ ٣٤٥).

فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري [١] من ذلك السم"[٢].

المطلب الثاني: ابتلاؤه ﷺ في ولده:



ابتلي الأنبياء عليهم السلام في أولادهم فمنهم من ابتلي في تدينهم والتزامهم بدين الله، ومنهم من شهد قتل أحد أبنائه لأخيه، ومنهم من شهد مصرع ولده على الكفر، ومنهم من أمر بذبح ولده إرضاء لربه، ومنهم من ابتلي بفقد ولده وأحب أبنائه إلى قلبه مدة طويلة، ومنهم سيدهم عليه الصلاة والسلام فقد مات كل أولاده في حياته، ولم تمت بعده إلا فاطمة -رضي الله عنها-.

ابتلاؤه ﷺ بموت الأبناء: عن أنس بن مالك ﵁ قال: دخلنا مع رسول الله ﷺ على أبي سيف القين وكان ظئرا [٣] لإبراهيم عليه السلام فأخذ رسول الله ﷺ إبراهيم فقبله وشمه، ثم دخلنا عليه بعد ذلك وإبراهيم يجود بنفسه فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان فقال له عبد الرحمن بن عوف ﵁: وأنت يا رسول الله، فقال:" يا ابن عوف إنها رحمة"، ثم اتبعها بأخرى فقال ﷺ: "إن العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضي ربنا وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون"[٤].

---

(١) الأبهر: عرق في الظهر وقيل هو عرق مستبطن القلب فإذا انقطع لم تبق معه حياة. وقيل هو الوتين وهو في الفخذ: النسأ وفي الساق: الصافن وفي الحلق: الوريد.

انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر، (١/ ٧٤)، غريب الحديث، للقاسم ابن سلام، (١/ ٧٤).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، (٦/ ٩)، رقم (٤٤٢٨).

(٣) ظئرا أي: زوج مرضعته وهي خولة بنت المنذر الأنصارية النجارية، والظئر: المرضعة غير ولدها، ويقع على الذكر والأنثى.

راجع: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، (٢/ ١٥٤) مادة (ظأر)، وتعليق د. مصطفى ديب البغا على صحيح البخاري، (١/ ٤٣٩).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب قول النبي ﷺ " إنا بك لمحزونون، (٢/ ٨٢)، رقم (١٣٠٣).

فقد مات له ﷺ في حياته ستة من الأبناء، ثلاثة من الذكور وثلاثة من الإناث [1].

أما الأبناء الذين توفاهم الله تعالى في حياته هم:

القاسم: وهو أول أولاده من زوجته خديجة بنت خويلد، ولد له قبل النبوة ومات بعد أن بلغ سنًا تمكنه من المشي. غير أن رضاعته لم تكن قد اكتملت. ويُقال إنه توفي قبل أن يتم عامه الثاني.

إبراهيم: وتوفي بعد سبعين يومًا من مولده.

عبد الله: ويلقب بالطيب والطاهر، وقد مات صغيراً.

وأما بناته ﷺ الذين توفاهن الله تعالى في حياته فهن:

زينب: وهي أكبر بناته، أدركت الإسلام، وأسلمت، ثم أسلم زوجها وهو ابن خالتها أبو العاص لقيط الربيع.

رقيّة: وزوجها عثمان بن عفان رضي الله عنهما.

أم كلثوم: تزوجها عثمان أيضًا بعد وفاة أختها رقية.

أما فاطمة الزهراء: وزوجها علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، فهي الوحيدة من أولاده ﷺ التي ماتت بعده بستة أشهر.

إذ يعد فقد الأبناء في حياة الآباء من أعظم الابتلاءات التي يبتليها الله تعالى لعباده، وهذا الابتلاء العظيم مر به النبي ﷺ ست مرات في حياته يصيبه من الحزن، والألم ما يصيب الناس، ويعاني ألم فقد الأبناء كما يعاني الناس، فواجه عليه الصلاة والسلام هذا الابتلاء العظيم بالصبر والاحتساب

---

(١) كل أولاده ﷺ من خديجة رضي الله عنها، إلا إبراهيم فإنه من مارية القبطية. وأولاده كلهم ولدوا قبل النبوة، إلا فاطمة فبعد النبوة بسنة، وإبراهيم، فإنه ولد في السنة الثامنة من الهجرة.

راجع: أبناء النبي ﷺ البنون والبنات وأمهاتهم رضوان الله تعالى عليهم، تأليف إبراهيم محمد حسن الجمل.



والرضا بقضاء الله وقدره، مؤمنا بحكمة الله تعالى البالغة.

المطلب الثالث: ابتلاؤه ﷺ في أهل بيته:

حادثة الإفك: قالت عائشة: كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفرًا، أقرع بين أزواجه، فأيهن خرج سهمها، خرج بها رسول الله ﷺ معه، قالت عائشة: فأقرع بيننا في غزوة غزاها، فخرج فيها سهمي، فخرجت مع رسول الله ﷺ بعد ما أنزل الحجاب، فكنت أحمل في هودجي، وأنزل فيه، فسِرنا، حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوته تلك، وقفل دنونا من المدينة قافلين، آذن ليلةً بالرحيل، فقمت، حين آذنوا بالرحيل، فمشيت حتى جاوزت الجيش، فلما قضيت شأني، أقبلت إلى رحلي، فلمست صدري، فإذا عقد لي من جذع ظفار(١)، قد انقطع فرجعت، فالتمست عقدي، فحبسني ابتغاؤه، قالت: وأقبل الرهط(٢) الذين كانوا يرحلوني، فاحتملوا هودجي، فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب عليه، وهم يحسبون أني فيه وكان النساء إذ ذاك خفافًا لم يهبلن، ولم يغشهن اللحم، إنما يأكلن العلقة من الطعام، فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وحملوه، وكنت جاريةً حديثة السن، فبعثوا الجمل فساروا، ووجدت عقدي، بعد ما استمر الجيش، فجئت منازلهم، وليس بها منهم داع ولا مجيب، فتيممت منزلي الذي كنت به، وظننت أنهم سيفقدونني، فيرجعون إليّ، فبينا أنا جالسة في منزلي، غلبتني عيني، فنمت وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني من وراء الجيش، فأصبح عند منزلي، فرأى سواد إنسان نائم، فعرفني حين رآني، وكان رآني قبل الحجاب، فاستيقظت باسترجاعه، حين عرفني، فخمرت وجهي بجلبابي، ووالله ما تكلمنا بكلمة، ولا سمعت منه كلمةً غير استرجاعه، وهوى حتى أناخ راحلته، فوطئ على يدها، فقمت إليها، فركبتها، فانطلق يقود بي الراحلة، حتى أتينا الجيش، موغرين في نحر الظهيرة، وهم نزول، قالت:

---

(١) الجذع: وهو الخرز اليماني، ظفار: قرية في اليمن شمال مدينة صنعاء. راجع: معجم الأمكنة الوارد ذكرها في صحيح البخاري، سعد بن جنيدل، ص: ٣١٦، شرح النووي على صحيح مسلم، للنووي، (١٧/ ١٠٤)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر، (٨/ ٤٥٩).

(٢) الرهط: هم عدد من ثلاثة إلى عشرة. انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر، (٨/ ٤٥٩).

فهلك من هلك، وكان الذي تولى كِبَر الإفك عبدالله بن أبي بن سلول.

ثم ذكرت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها لما قدمت المدينة، اشتكت شهرًا، وأن الناس كانوا يفيضون في قول أصحاب الإفك وهي لا تشعر بشيء من ذلك إلا أنه كان يريبها في وجعها أنها لم تعرف من رسول الله ﷺ اللطف الذي كانت تعهده حين تشتكي، إنما يدخل عليّها رسول الله ﷺ، فيُسلم، ثم يقول: كيف تيكم، ثم ينصرف فكان ذلك يريبها رضي الله عنها حتى خرجت ذات يوم وسمعت عن نفسها ما سمعت فأرادت أن تستيقن من الأمر فاستأذنت رسول الله ﷺ بزيارة أبويها فأذن لها ، فلما استيقنت ما يقال عنها بكت تلك الليلة حتى أصبحت، لا يرقأ لها دمع، ولا تكتحل بنوم، حتى دعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب، وأسامة بن زيد، حين استلبث الوحي، يسألهما، ويستشيرهما في فراق أهله وقد تكلم بعض الصحابة في ذلك واختلفوا حتى أسكتهم عليه الصلاة والسلام ثم دخل عليها، فسلَّم، ثم جلس، إذ لم يجلس عندها، منذ قيل ما قيل قبلها، وقد لبث شهرًا لا يوحى إليه في شأنها بشيء، قالت: فتشهد رسول الله ﷺ حين جلس، ثم قال: أما بعد يا عائشة، فإنه بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئةً، فسيُبرئك الله، وإن كنت أَلْمَمْتِ بذنبٍ، فاستغفري الله، وتوبي إليه، فإن العبد، إذا اعترف، ثم تاب، تاب الله عليه، قالت: فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته، قلص دمعي، حتى ما أحس منه قطرةً، فقلت لأبي: أجب رسول الله ﷺ عني فيما قال، فقال أبي: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ، فقلت لأمي: أجيبي رسول الله ﷺ فيما قال، قالت أمي: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ، فقلت: وأنا جارية حديثة السن، لا أقرأ القرآن كثيرًا: إني والله لقد علِمت أنكم سمعتُم هذا الحديث، حتى استقر في أنفسكم وصدقتُم به، فلئن قلت لكم: إني بريئة، لا تصدقوني، ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أني منه بريئة، لتُصَدِّقُنِّي، فوالله لا أجد لي ولكم مثلًا إلا أبا يوسف حين قال﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ [يوسف: ١٨]، ثم تحولت واضطجعت على فراشي، والله يعلم أني حينئذ بريئة، وأن الله مبرئي ببراءتي، ولكن والله ما كنت أظن أن الله منزل في شأني وحيًا يُتلى لشأني في نفسي، كان أحقر من أن يتكلم الله فيّ بأمر، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يُبرئني الله بها، فوالله ما رام



رسول الله ﷺ مجلسه، ولا خرج أحد من أهل البيت، حتى أنزل عليه، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء، حتى إنه ليتحدر منه من العرق مثل الجمان وهو في يوم شات، من ثقل القول الذي أنزل عليه، قالت: فسُرِّي عن رسول الله ﷺ وهو يضحك، فكانت أول كلمة تكلم بها أن قال: يا عائشة أما الله، فقد برَّأك، قالت: فقالت لي أمي: قومي إليه، فقلت: والله لا أقوم إليه، فإني لا أحمد إلا الله ﷻ، قالت: وأنزل الله تعالى﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾ [النور: ١١]، عشر آيات فأنزل الله عز وجل هؤلاء الآيات براءتي [1].



حيث ابتلي الله ﷻنبيه محمد ﷺ في أحب زوجاته إليه ابتلاء عظيما يمس عرضه الشريف عليه الصلاة والسلام وهي حادثة الإفك التي حزن فيها حزنا شديدا، إذ كان عليه الصلاة والسلام يسمع كلام الناس في أهله، وفي أحب زوجاته إليه ولايقدر أن يرد عليهم، أو يعاقبهم حيث لم يكن تقرر في الشرع عقوبة القذف، فقد استبطأ عليه الوحي فلم ينزل في شأن براءتها شيئا مما اضطر النبي عليه الصلاة والسلام أن يستشير في أمرها فأشار عليه علي بن أبي طالب أن يطلقها، وأن النساء غيرها كثير.

على الرغم من ذلك الابتلاء الجلل الذي نزل به عليه الصلاة والسلام، والأذى الذي ناله من الناس في شأنها، واستبطاء الوحي، وحزنه الشديد تجلى صبر النبي ﷺ، وحكمته، وكمال نفسه على نحو غير معهود من البشر في مثل هذه الحادثة، إذ لم يثبت له في أمرها شيئا، فلم ينس عليه الصلاة والسلام ما سلف من سيرتها، وعشرتها معه فكان يقف على حالها، ويطمئن على صحتها في مرضها، ولم يتغير عليها الا في اللطف الذي كان يغمرها به حين تشتكي فكان يقول:" كيف تيكم" ثم ينصرف.

كما أنه عليه الصلاة والسلام لم يغلق باب الرحمة الإلهية، ولم يرمها بالتهمة كما يفعل الناس دون

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب النكاح، باب القرعة بين النساء إذا أراد سفرا، (٥/ ١١٦)، رقم (٤١٤١)، وأخرجه مسلم، باب في حديث الإفك وقبول التوبة، (٤/ ٢١٢٩) رقم (٢٧٧٠).

مراعاة لعشرة، أو حتى انتظار دليل حين قال لها:" أما بعد يا عائشة إنه بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت الممت بذنب، فاستغفري الله وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف ثم تاب، تاب الله عليه" فما كان منه إلا الصبر والرضا بقضاء الله وقدره وحكمته سبحانه حتى برأها الله تعالى بقرآن يتلى في شأنها حتى تقوم الساعة.

المطلب الرابع: ابتلاؤه ﷺ بفقد الأحباب، والأصحاب النصراء.

١- ابتلاؤه ﷺ بموت عمه أبو طالب :

عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال: (أن أبا طالب لما حضرته الوفاة دخل عليه النبي ﷺ وعنده أبو جهل، وعبدالله بن أمية بن المغيرة فقال: (أي عم، قل: لا إله إلا الله ، كلمة أحاج لك بها عند الله) فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب، ترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزالا يكلماه حتى قال آخر شيء كلمهم به: على ملة عبد المطلب، فقال النبي ﷺ: (لأستغفرن لك ما لم أنه عنه)، فنزلت﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴾ [التوبة:١١٣] ونزلت: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ ﴾ [القصص: ٥٦][(١)].

لقد كان هذا الابتلاء من أشد الابتلاءات التي مر بها النبي ﷺ في حياته [(٢)]،وذلك لما كان عليه عمه

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب قصة أبي طالب، (٦/ ٥٢) رقم (٣٨٨٤)، وكتاب تفسير القرآن، باب قوله: (ما كان للنبي واللذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين)، (٦/ ٦٩) رقم (٤٦٧٥) وكتاب تفسير القرآن، باب قوله: (إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء)، رقم(٤٧٧٢).

(٢) لقد فقد النبي ﷺ الكثير من الأحباب والنصراء في حياته كموت خديجة رضي الله عنها، وعمه حمزة بن عبدالمطلب، وأبي سلمة بن عبد الأسد، وعثمان بن مظعون، وسعد بن معاذ، وزيد بن حارثة، وجعفر بن أبي طالب وغيرهم من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، ومع كل ذلك كانت مصيبته عليه الصلاة والسلام في موت عمه أبي طالب أكبر من كل هذه الابتلاءات؛ ذلك أنه مات على الكفر وهم ماتوا على الإيمان ، وأنه ﷺ سوف يلقى بإذن الله تعالى أصحابه وأحبابه المؤمنين بعد موتهم على حوضه الشريف وفي الجنة ، أما عمه أبو طالب ففراقه بلا لقاء ، بالإضافة إلى عذابه في النار الذي خففه الله تعالى عليه بعد شفاعته له ﷺ.



منه ،إذ كان بمنزلة الوالد الشفوق به ، فهو الذي كفله بعد موت جده عبدالمطلب ،كان يتألم لألمه ، ويحزن لحزنه ، وكان عليه الصلاة والسلام يدرك مدى القلق الذي في قلب عمه عليه ، فالمقام لا يتسع لبيان ما كان عليه أبو طالب من الحيطة والمنع له، كما أنه كان بمثابة الحصن الذي احتمت به الدعوة الإسلامية من هجمات الكبراء والسفهاء، إلا أن بقاءه على ملة أجداده ، وموته على ذلك زاد على نبي الرحمة عليه الصلاة والسلام حزنه، حيث لم تفلح دعواته المتكررة له للدخول في الإسلام فلم تخالط كلماته الشريفة بشاشة قلب عمه حتى اللحظة الأخيرة من حياته ففي الصحيح عن العباس بن عبد المطلب، قال للنبي ﷺ: ما أغنيت عن عمك، فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ قال: (هو في ضَحْضَاح (١) من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار)(٢).

فما كان منه عليه الصلاة والسلام إلا الصبر أمام هذا الابتلاء الجلل والاستجابة لأمر الله، والإذعان لقضائه تعالى وقدره فهو الحكيم العليم، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور فيهدي من يشاء من عباده، إذ ليست العبرة بالظواهر وإنما العبرة بالبواطن وهذا لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى فحكم البشر قاصر وحكمه تعالى تام وكامل؛ لهذا أنزل الله تعالى تسلية لقلب النبي ﷺ وتثبيتا له قوله تعالى ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦].

٢- **ابتلاؤه ﷺ بوفاة زوجه خديجة ﵂**: عن عائشة رضي الله عنها قال: ما غرت على أحد من

---

(١) (في ضحضاح)، بفتح الضادين المعجمتين وسكون الحاء المهملة الأولى، وهو قريب القعر، وضحضح الشراب إذا دق، ويقال: هو استعارة، فإن الضحضاح من الماء ما يبلغ الكعب، ويقال أيضا لما قرب من الماء، والمعنى أنه خفف عنه العذاب. فأصل الضحضاح في الماء إذا كان قليلا رقيقا فشبه قلة النار به انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، للعيني، (١٧/ ١٧)، وانظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر، (٧/ ١٩٤)، غريب الحديث، للقاسم بن سلام، (٤/ ٣٩٢).

(٢) أخرجه البخاري كتاب مناقب الأنصار، باب قصة أبي طالب، (٥/ ٥٢)، رقم(٣٨٨٣)، وأخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم، (١/ ١٩٤) رقم(٢٠٩).

نساء النبي ﷺ ما غرت على خديجة ،وما رأيتها ولكن كان النبي ﷺ يكثر ذكرها ، وربما ذبح وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء ثم يبعثها في صدائق خديجة فربما قلت له :كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة فيقول:" إنها كانت وكانت وكان لي منها ولد "(١).كانت خديجة رضي الله عنها من نعم الله الجليلة على رسول الله ﷺ إذ بقيت معه ربع قرن تحن عليه، وتؤازره في أحرج أوقاته ، وتعينه على إبلاغ رسالته، وتشاركه في مغارم الجهاد المر، وتواسيه بنفسها ومالها ورزقه الله ولدها وحرم ولد غيرها(٢). قال النووي –رحمه الله– :" وفي هذا الحديث ونحوه دلالة لحسن العهد، وحفظ الود، ورعاية حرمة الصاحب والمعاشر حيا وميتا، وإكرام معارف الصاحب" (٣)، وفي الصحيح عن أبي هريرة قال: أتى جبريل النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، هذه خديجة قد أتت، معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها، وبشرها ببيت في الجنة من قَصَبٍ لا صَخَبَ فيه ولا نَصَبَ(٤).



حيث ابتلى الله تعالى نبي الرحمة عليه الصلاة والسلام بوفاتها رضي الله عنها بعد وفاة عمه أبي طالب، إذ وقعت هاتان الحادثتان المؤلمتان موت عمه ثم موت خديجة رضي الله عنها في عام واحد، فاهتزت مشاعر الحزن والألم في قلب رسول الله ﷺ؛ لفقده أكثر الناس حبا، ومناصرة له

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها رضي الله عنها، (٥/ ٣٨/ رقم (٣٨١٨).

(٢) انظر: الرحيق المختوم، للمبار كفوري، باب تراكم الأحزان، (١/ ١٠٤)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر، خديجة بنت خويلد، (٤/ ١٨٢٤).

(٣) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر، (٧/ ١٣٧) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لبدر الدين العيني، (١٦/ ٢٨٠).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب تزويج النبي صلى الله عليه وسلم خديجة وفضلها رضي الله عنها، (٥/ ٣٩) رقم (٣٨٢٠).

حتى أنه كان يسمى ذلك العام بـ (عام الحزن)؛ لشدة ما كابد فيه من الشدائد في سبيل الدعوة [١]، ثم لم تزل تتوالى عليه صور الأذى، والشدائد، والمحن من قومه، ونبي الرحمة عليه الصلاة والسلام مؤمنا صابرا محتسبا.

المطلب الخامس: ابتلاؤه ﷺ في عشيرته وأمته:



١- **ابتلاؤه ﷺ بحصار الكفار لبني هاشم، وبني عبد المطلب في شعب أبي طالب**: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ من الغد يوم النحر وهو بمنى: **"نحن نازلون غدا بخيف بني كنانة[٢]حيث تقاسموا على الكفر"** يعني ذلك المحصب، وذلك أن قريشا، وكنانة تحالفت على بني هاشم، وبني عبد المطلب، أن لا يناكحوهم ولا يبايعوهم حتى يسلموا إليهم النبي ﷺ [٣].



وقال أسامة بن زيد ﵁: قلت: يا رسول الله أين تنزل غدا؟ في حجته. قال:" وهل ترك لنا عقيل

(١) راجع: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لبدر الدين العيني، (٨/ ١٨٠)، ذكر الشيخ الألباني رحمه الله بأن نسبة إطلاق مسمى (عام الحزن) للنبي صلى الله عليه وسلم لم يثبت في أي مصدر من المصادر الموثوقة بإسناد صحيح انظر: وقفة أمام عام الحزن، القسم الرابع من كتاب: مقالات الألباني، الإمام محمد ناصر الدين الألباني، (١/ ١٨٣)، (١/ ٢٣٨)، وكتاب: دفاع عن الحديث النبوي والسيرة، محمد ناصر الدين الألباني (ت: ١٤٢٠هـ)، ص: ١٨.

(٢) خيف بني كنانة: بخاء معجمة مفتوحة وياء مثناة ساكنة وآخره فاء موحدة، مضاف إلى بني كنانة. موضع بأعلى مكة ينزله النبي صلى الله عليه وسلم، والمحصب والحصبة، والأبطح والبطحاء وخيف بني كنانة، اسم لشيء واحد، وأصل الخيف كل ما انحدر عن الجبل وارتفع عن المسيل، وكل سيل فيه دقاق الحصى فهو أبطح والأبطح يضاف إلى مكة المكرمة وإلى منى لأن المسافة بينه وبينهما واحدة، وربما كان إلى منى أقرب وموقعها بين الحجون إلى المسجد الحرام عند الثنية العليا.

انظر: معجم الأمكنة الوارد ذكرها في صحيح البخاري، سعد بن جنيدل، ص: ٢٢١، وأطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل، ص: ١٩.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الحج، باب نزول النبي صلى الله عليه وسلم مكة، (٢/ ١٤٨) رقم(١٥٩٠).

منزلا؟" ثم قال: "نحن نازلون غدا بخيف بني كنانة المحصب حيث قاسمت قريش على الكفر". وذلك أن بني كنانة حالفت قريشا على بني هاشم أن لا يبايعوهم ولا يؤووهم [١].

قال النووي رحمه الله: "أراد أن ينزل في هذا المكان شكرا لله تعالى على النعمة في دخوله ظاهرا، ونقضا لما تعاهدوه بينهم"[٢].

حيث أن المتأمل للروايات السابقة يلاحظ مدى الألم الذي كان يشعر به النبي ﷺ وهو يتذكر ذلك الابتلاء العظيم الذي استمر لمدة ثلاث سنوات، حيث اجتمعت فيه كل قبائل قريش لحصار بني هاشم وبني عبد المطلب الذين دخلوا إلى شعب أبي طالب ، وتجمعوا فيه ومعهم رسول الله ﷺ؛ وذلك ليكونوا جميعا حوله لحمايته من أهل مكة، وعلقوا الصحيفة في جوف الكعبة ،وتقاسموا بآلهتهم على الوفاء بها والتي كانت تنص على قطع الطعام بالكلية عن المحاصرين، فلا بيع ولا شراء، حتى الطعام الذي كان يدخل مكة من خارجها كان يذهب بنو هاشم لشرائه وقد بلغ الجهد بالمحاصرين حتى كان بسمع أصوات النساء والصبيان يصرخون من شدة الجوع ، حتى اضطروا إلى التقوت بأوراق الشجر[٣]. عن عتبة بن غزوان ﷺ قال: "لقد رأيتني سابع سبعة مع رسول الله ﷺ مالنا طعام إلا ورق الشجر حتى قرحت أشداقنا..."[٤]، وعلى الرغم من شدة الابتلاء، وطول مدة الحصار، كان عليه الصلاة صابرا مؤمنا بقضاء ربه، واختياره ولم يضعف أو ييأس من رحمة ربه، بل استمر في دعوته إلى الله تعالى كلما تهيأت الفرصة لذلك؛ لأنه عليه الصلاة والسلام كان يوقن من أن النصر مع الصبر بإذن الله، وأنه تعالى

(١) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب إذا أسلم قوم في دار الحرب ولهم مال وأرضون فهي لهم، (٤/ ٧١) رقم(٣٠٥٨).

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، (٩/ ٦٢:٦١).

(٣) انظر: السير والمغازي، لابن إسحاق، (ص:١٥٩)، السيرة النبوية، لابن هشام، (١/ ٣٥٣)، الطبقات الكبرى، لابن سعد، (١/ ١٦٤).

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الزهد والرقاق، (٤/ ٢٢٧٨) رقم (٢٩٦٧).



سيفرج الكرب ويزيل الهم ويبدل الحال.

المطلب السادس: ابتلاؤه ﷺ في دعوته:

١- **معاداة قريش له بعد الجهر بالدعوة:** أمر الله تعالى النبي ﷺ بالجهر بالدعوة، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ، قَالَ : لَمَّا نَزَلَتْ ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾[الشعراء: ٢١٤]، ورهطك منهم المخلصين[١]، خرج رسول الله ﷺ حتى صعد الصفا، فهتف: يا صباحاه، فقالوا: من هذا، فاجتمعوا إليه، فقال: أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلًا تخرج من سفح هذا الجبل، أكنتم مصدقي؟ قالوا: ما جربنا عليك كذبًا، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، قال أبو لهب: تبًّا لك ما جمعتنا إلا لهذا، ثم قام. فنزلت﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ [المسد:١] [٢].

وعن ابن مسعود ﷺ قال: بينما رسول الله ﷺ قائم يصلي عند الكعبة وجمع قريش في مجالسهم ينظرون، إذ قال قائل منهم: ألا تنظرون إلى هذا المرائي؟ أيُّكم يقوم إلى جَزور آل فلان، فيعمِد إلى فرثها ودمها وسلاها، فيجيء به، ثم يمهله حتى إذا سجد، وضعه بين كتفيه؟ فانبعث أشقاهم، فلما سجد رسول الله ﷺ وضعه بين كتفيه؟ وثبت النبي صلى الله عليه وسلم ساجدا، فضحكوا حتى مال بعضهم إلى بعض من الضحك...الحديث [٣]

وعن عروة بن الزبير قال: سألت ابن عمرو بن العاص: أخبرني بأشد شيء صنعه المشركون بالنبي ﷺ قال: بينا النبي ﷺ في حجر الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فوضع ثوبه في عنقه، فخنقه خنقًا شديدًا، فأقبل أبو بكر ﷺ حتى أخذ بمنكبيه، ودفعه عن النبي ﷺ قال: ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن

---

(١) وظاهر هذا أنه كان قرآنا يتلى وأنه نسخ، إذ لم يثبت نقله في المصحف ولا تواتر انظر: التعليق على تفسير القرطبي، عبد الكريم الخضير(١٩/ ٢٤)، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنووي، (٣/ ٨٢).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب (فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا) النصر:٣، (٦/ ١٧٩)، رقم (٤٩٧١)، وأخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب في قوله تعالى (وأنذر عشيرتك الأقربين)، (١/ ١٩٣) رقم (٢٠٨).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الصلاة، باب المرأة تطرح شيئا من الأذى، (١/ ١١٠)، رقم (٥٢٠).



يَـقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ﴾[غافر: ٢٨][(١)]؛ ثم لم تزل تتوالى عليه أصناف من البلايا، والأذى من قومه، وهو عليه الصلاة والسلام صابرا، محتسبا، كاظما غيظه، رحيما بهم، مشفقا عليهم؛ لأنهم لا يعلمون، مع أنه ﷺ كان قادرا على أن يدعو الله تعالى عليهم بأن يعذبهم، وتحل بهم عقوبته، حيث إنهم تجرأوا عليه، وكاشفوه بالنكال، والأذى خاصة بعد موت عمه أبي طالب الذي كان يحوطه، ويمنعه منهم، فازداد غمًا على غم، حتى يئس منهم، وخرج إلى الطائف رجاء أن يستجيبوا لدعوته، أو يؤووه وينصروه على قومه.

٢- **ابتلاؤه ﷺ بإيذاء أهل الطائف وقذفهم إياه بالحجارة عند دعوتهم للإسلام**: عن عروة بن الزبير، أن عائشة رضي الله عنها حدثته أنها قالت للنبي ﷺ: هل أتى عليك يوم كان أشد عليك من يوم أحد؟ قال: "لقيت من قومكِ ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد يالِيل بن عبد كُلاَل، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت ـ وأنا مهموم ـ على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقَرْنِ الثعالب ـ وهو المسمى بقَرْنِ المنازل[(٢)]، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني، فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم. فناداني ملك الجبال، فسلم عليّ ثم قال: يا محمد، ذلك، فما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين ـ أي لفعلت، والأخشبان: هما جبلا

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من المشركين بمكة، (٥/ ٤٦) رقم (٣٨٥٦)، وكتاب تفسير القرآن، باب قوله (ونفخ في الصور فصعق من في السماوات والأرض إلا من شاء الله)، (٦/ ١٢٧)، رقم (٤٨١٥).

(٢) قرن الثعالب هو قرن المنازل، وهو ميقات أهل نجد وهو على يوم وليلة (٨٠كم) عن مكة المكرمة. انظر: أطلس الحديث النبوي من الكتب الصحاح الستة، د. شوقي أبو خليل، ص: ٣٠٥، معجم الأمكنة الوارد ذكرها في صحيح البخاري، سعد بن جنيدل، (ص:٣٦١-٣٦٢).



مكة: أبو قُبَيْس والذي يقابله، وهو قُعَيْقِعَان[١]. قال النبي ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله عز وجل من أصلابهم من يعبد الله عز وجل وحده لا يشرك به شيئا"[٢].

وفي هذا الجواب الذي أدلى به الرسول ﷺ تتجلى شخصيته الفذة، ورحمته بأمته ،وما كان عليه من الخلق العظيم ،والصبر على الابتلاء ،والأذى الذي لحق به عليه الصلاة والسلام. حيث تكالبت الأحزان على النبي ﷺ وزادت عليه همومه وتضاعفت بوفاة أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها، وعمه أبي طالب في عام واحد، واستغلت قريش غياب أبي طالب فزادت من إيذائها للنبي ﷺ والتضييّق عليه، فعزم على الخروج إلى الطائف راجيًا، ومؤملاً أن تكون أحسن حالاً من مكة، وأن يجد من أهلها نصرة، فعمد إلى ثلاثة إخوة من رؤساء ثقيف، فجلس إليهم ودعاهم إلى الله، وإلى نصرة الإسلام، فلم يستجيبوا لدعوته وقالوا ما قالوا. ثم أقام رسول الله ﷺ بين أهل الطائف عشرة أيام، لا يدع أحدًا من أشرافهم إلا جاءه وكلمه، فقالوا: اخرج من بلادنا. وأغروا به سفاءهم، فلما أراد الخروج تبعه سفاؤهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به، حتى اجتمع عليه الناس، وجعلوا يرمونه بالحجارة، وبكلمات من السفه، ورجموا عراقيبه، حتى اختضب نعلاه بالدماء. وكان زيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى أصابه شِجَاج في رأسه،

---

(١) قعيقعان: بقاف مثناة مضمومة وعين مهملة مفتوحة وياء مثناة ساكنة وقاف مثناة مكسورة وعين مهملة بعدها ألف وآخره نون، بلفظ التصغير: جبل معروف في مكة. وقيل إنما سمي بذلك؛ لأن قطوراء وجرهم لما تحاربوا قعقعت الأسلحة فيه. وقيل هو جبل ضخم مشرف على المسجد الحرام من الشمال الغربي، ممتدا بين ثنيتي كداء، وكدي مشرفا على وادي ذي طوى غربا، مقابل أبي قبيس يفهم منه أنه أخشب مكة الأخر.

انظر: معجم الأمكنة الوارد ذكرها في صحيح البخاري، سعد جنيدل، ص: ٣٦٥-٣٦٧، أطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل، ص: ٣١٠.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء، (٤/ ١١٥) رقم (٣٢٣١).

ولـم يزل به السفهاء كذلك حتى ألجئوه إلى حائط، فلما التجأ إليه رجعوا عنه[١].

فقد واجه نبي الرحمة عليه الصلاة والسلام هذا الابتلاء العظيم بالصفح والعفو عمن أساء إليه وآذاه، وبالصبر والالتجاء إلى الله سبحانه وتعالى [٢].



(١) راجع: زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم الجوزية، (٣/ ٢٨)، الرحيق المختوم، للمبار كفوري، ص: ١١٣.

(٢) قيل: لما جلس واطمأن عليه الصلاة والسلام، دعا بالدعاء المشهور الذي يدل على امتلاء قلبه كآبة وحزنًا مما لقى من الشدة، وأسفًا على أنه لم يؤمن به أحد، قال: "اللهم إليك أشكو ضَعْف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني؟ أم إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك عليّ غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك، أو يحل على سَخَطُك، لك العُتْبَى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك".

أورده الألباني رحمه الله في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وقال: "ضعيف" ثم أورده بإسناده وقال: "وهذا إسناد ضعيف رجاله ثقات، وعلته عنعنة ابن إسحاق عند الجميع، وهو مدلس، ولم يسق إسناده في السيرة" انظر: (٦/ ٤٨٧)، رقم (٢٩٣٣).



المبحث الثالث:

الضوابط الإيمانية والعملية المستنبطة من سيرته ﷺ في مواجهة الابتلاء.

المطلب الأول: الضوابط الإيمانية المستنبطة من سيرة المصطفى ﷺ في مواجهة الابتلاء.



من خلال ما سبق ذكره من صور الابتلاءات التي ابتلى الله ﷻ بها نبي الرحمة، وكيفية تعامله ﷺ معها يمكننا أن نستنبط بعض الضوابط الإيمانية التي واجه بها عليه الصلاة والسلام تلك الابتلاءات والمحن منها:

أولا: تحقيق التوحيد الخالص لله تعالى وإفراده بالعبادة:

١-قال ﷻ: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ ﴾[التغابن:١١] فعلى المسلم أن يجدد إيمانه بربه، وثقته به، وتوكله عليه، فإن الله تعالى هو رب الكون ومدبره، إذ لا يقع شيء من البلاء والمحن إلا بإذنه، له الخلق والأمر فربما ابتلاه الله بهذه المصيبة دفعًا لشر وبلاء أعظم مما ابتلاه به، فاختار الله له المصيبة الصغرى وهذا معنى لطيف. فالابتلاء يفتح للمسلم باب عظيم من أبواب العبادة من الصبر والرجاء[1] وانتظار الفرج فكل ذلك عبادة .إذ ربما يكون مقصر وليس له كبير عمل فأراد الله ﷻ أن يرفع منزلته و يكون هذا العمل من أرجى أعماله في دخول الجنة ،وقد يكون غافلا معرضًا عن ذكر الله مفرطًا في جنب الله مغتراً بزخرف الدنيا، فأراد الله قصره عن ذلك وإيقاظه من غفلته ورجوعه إلى الرشد، فإذا استشعر العبد هذه المعاني واللطائف انقلب البلاء في حقه إلى نعمة وفتح له باب المناجاة ولذة العبادة ، وقوة الاتصال بربه ،والرجاء ،وحسن الظن بالله وغير ذلك من أعمال القلوب ومقامات العبادة ما تعجز العبارة عن وصفه[2] ، ذكر ابن القيم رحمه الله بأنه لا يكون الرجل فقيها كامل الفقه حتى يعد البلاء نعمة ويعد الرخاء مصيبة، وذلك أن صاحب البلاء ينتظر الرخاء وصاحب الرخاء ينتظر

البلاء[1].

ثانيا: التسليم والانقياد لله تبارك وتعالى: إن مما يخفف البلاء عن العبد قوة إيمانه بالله سبحانه وتعالى ومعرفته لربه حق المعرفة، وهو من أعظم هذه الأمور وأجلها، إذ أن الإيمان أساسه التسليم والإذعان لله تبارك وتعالى، فالمؤمن الحق هو الذي يسلم لله ظاهراً وباطنًا، وهذا الإسلام يستلزم منه أموراً ينبغي عليه أن يقوم بها، وهذه الأمور تعد دلائل تدل على صدق عبوديته لله ﷻ.



فقد شاء الله ﷻ أن يمتحن أهل الإيمان، وأن يبتلي صبر أهل الإحسان ؛ليميز الخبيث من الطيب، وليظهر صدق الصادقين، ونفاق المنافقين، وأعظم أمرٍ يظهر به إيمان المؤمن، وتسليمه لله ﷻ وإذعانه لله إذا نزلت به البلايا وعصفت به المحن، ودلهمت به الخطوب، عندها تظهر قوة إيمانه ويقينه وإسلامه وانقياده لله عز وجل، "فالإيمان الجازم إذا خالطت بشاشته القلوب يزن الجبال ولا يطيش، وإنّ صاحب هذا الإيمان المحكم، وهذا اليقين الجازم يرى متاعب الدنيا مهما كثرت وكبرت وتفاقمت واشتدت يراها في جانب إيمانه، طحالب عائمة فوق سيل جارف جاء ليكسر السدود المنيعة، والقلاع الحصينة، فلا يبالي بشيء من تلك المتاعب، أمام ما يجده من حلاوة إيمانه، وطراوة إذعانه، وبشاشة يقينه" [2]؛لذلك كانت أهم سمة للمؤمن عند نزول البلاء والمحن الاعتصام بالله ﷻ، والتسليم والانقياد له، كما كان يفعل عليه الصلاة والسلام.

ثالثا: تقوى الله ﷻ في السر والعلانية والغيب والشهادة:

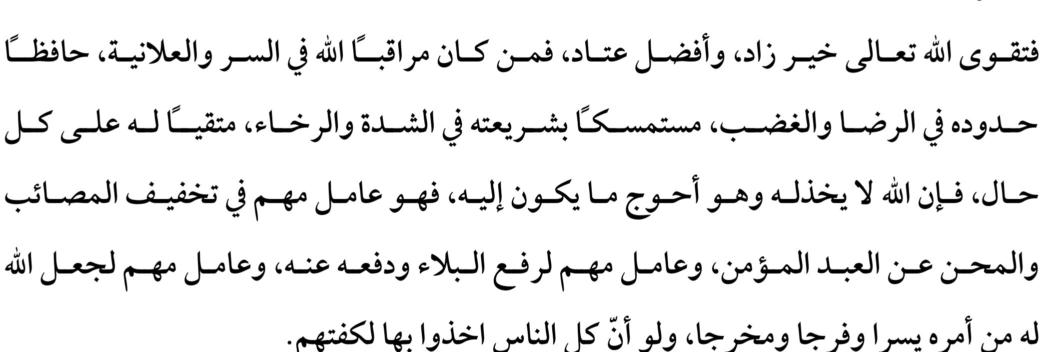
يقول الله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ ﴾ [الطلاق:

(١) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، لابن القيم الجوزية، ص:٧٥.

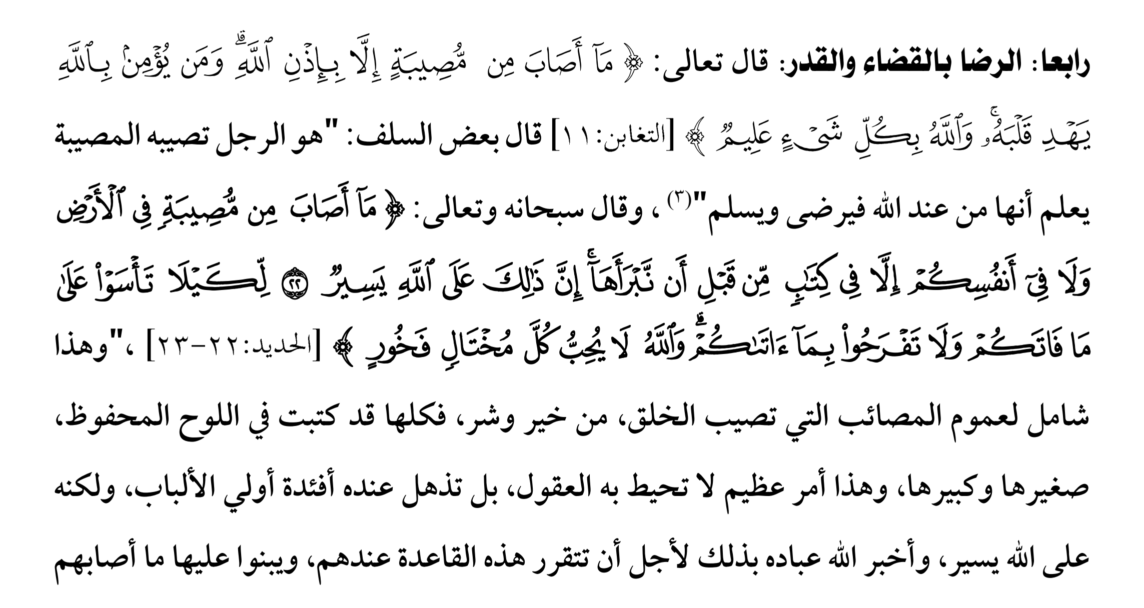
(٢) انظر: الرحيق المختوم، للمباركفوري، ص: ١٠٦.

٢ -٣] أي :" من جملة ثوابه أن يجعل له فرجا ومخرجا من كل شـدة ومشـقة، وكما أن من اتقى الله جعل له فرجا ومخرجا، فمن لم يتق الله وقع في الشـدائد والآصـار والأغلال التي لا يقدر على التخلص منها والخروج من تبعتها"(١) ويقول الله – تعالى-: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ﴾[الطلاق: ٤] أي من اتقى الله تعالى: "يسـهل له أمره، وييسـره عليه، ويجعل له فرجا قريبا ومخرجا عاجلا"(٢).





فتقـوى الله تعـالى خيـر زاد، وأفضـل عتـاد، فمـن كـان مراقبـًا الله في السـر والعلانيـة، حافظـًا حـدوده في الرضـا والغضـب، مستمسـكًا بشـريعته في الشـدة والرخـاء، متقيـًا لـه علـى كـل حـال، فـإن الله لا يخذلـه وهـو أحـوج مـا يكـون إليـه، فهـو عامـل مهـم في تخفيـف المصـائب والمحـن عـن العبـد المـؤمن، وعامـل مهـم لرفـع الـبلاء ودفعـه عنـه، وعامـل مهـم لجعـل الله له من أمره يسرا وفرجا ومخرجا، ولو أنّ كل الناس اخذوا بها لكفتهم.



رابعا: **الرضا بالقضاء والقدر**: قال تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾ [التغابن: ١١] قال بعض السلف: "هو الرجل تصيبه المصيبة يعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم"(٣) ، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٢٢ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ﴾ [الحديد: ٢٢-٢٣] ،"وهذا شامل لعموم المصائب التي تصيب الخلق، من خير وشر، فكلها قد كتبت في اللوح المحفوظ، صغيرها وكبيرها، وهذا أمر عظيم لا تحيط به العقول، بل تذهل عنده أفئدة أولي الألباب، ولكنه على الله يسير، وأخبر الله عباده بذلك لأجل أن تتقرر هذه القاعدة عندهم، ويبنوا عليها ما أصابهم

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ص: ٨٦٩.

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٨/ ١٥٢).

(٣) انظر: العبودية، لابن تيمية، ص: ٥٦.

من الخير والشر، فلا يأسوا ويحزنوا على ما فاتهم، مما طمحت له أنفسهم وتشوفوا إليه، لعلمهم أن ذلك مكتوب في اللوح المحفوظ، لا بد من نفوذه ووقوعه، فلا سبيل إلى دفعه، ولا يفرحوا بما آتاهم الله فرح بطر وأشر، لعلمهم أنهم ما أدركوه بحولهم وقوتهم، وإنما أدركوه بفضل الله ومنه، فيشتغلوا بشكر من أولى النعم ودفع النقم"(١).



فبالإيمان بالقدر، وبما شرع الله يكتمل الإيمان، وتثبت قدم المرء على الإسلام إذ أن أساس كل خير أن تعلم أن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن. فما دام القضاء مفروغ، وكل مقدر كائن، وأن هذا البلاء النازل بقدر مكتوب، ولم يكن ليخطئ العبد، فما للجزع من المصائب والمحن، والابتلاءات وجه، بل ما ينجي المسلم إلا التسليم، والرضا بما كتبه الله وقدره عليه، ومن آمن ورضي بما قدره الله وقضاه عليه عاش حياة هنيئة آمنة مطمئنة مستقرة، لا تزعزعه الفتن، ولا توهنه المحن ولا المصائب.

وفي ذلك تنبيه لما وقع فيه أكثر الناس اليوم، من الجزع والهلع من المصيبة إذا وقعت، والسخط والتأوّه منها، والإعراض عن الآداب الشرعية التي شرعت للمسلم عندما تحل به مصيبة في الدنيا، والوقوع في أعمال تنافي الإيمان وتضعفه في القلب، وتوجب الاعتراض على القضاء والقدر، ثم الغفلة بعد ذلك عن مصيبة الدين، فتجد المسلم يترك الصلاة ولا يعدّ ذلك مصيبة، يأكل الربا والرشوة ولا يعد هذا من البلاء، يقع في الفواحش والمنكرات ولا يعد هذا من الرزايا، يقع في عقوق الوالدين وقطيعة الأرحام ولا يكترث لذلك، يقع في ظلم الناس وأكل أموالهم وحقوقهم ولا يخاف لذلك ولا يهتزّ له قلب أو عضو. ألا فليتق الله كل مسلم يصاب بمصيبة أو رَزِيّة، وليحذر حال مصيبته كل الحذر أن يتكلم بشيء يسخط ربه ويحبط أجره مما يشبه التظلم، فإن الله تعالى عادل لا يظلم ولا يجور، عالم لا يضل ولا يجهل ولا ينسى، حكيم في أفعاله وأقداره، فعّال لما يريد، له

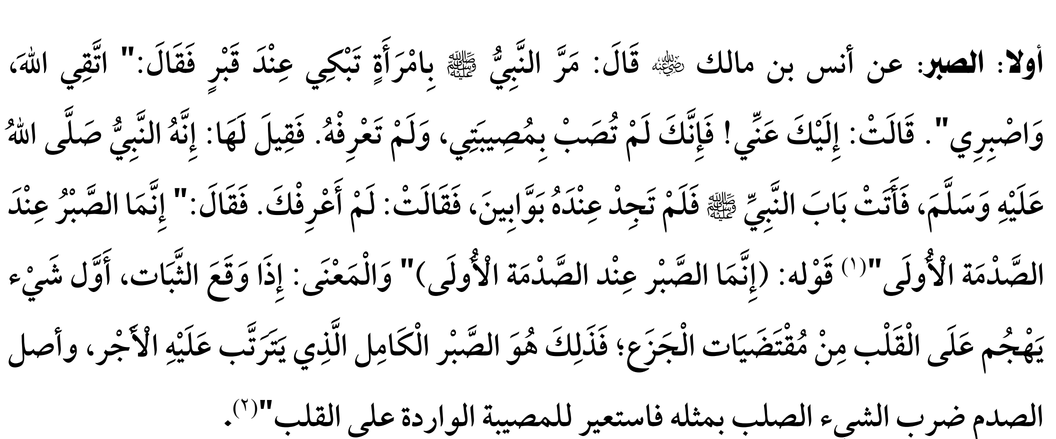
(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لابن سعدي، ص: ٨٤٢



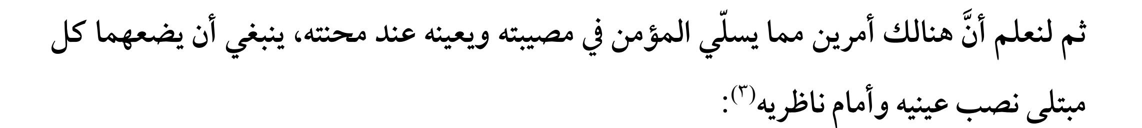
الأمر من قبل ومن بعد.

المطلب الثاني: الضوابط العملية المستنبطة من سيرة المصطفى ﷺ في مواجهة الابتلاء:

من خلال ما سبق ذكره من صور الابتلاءات التي ابتلى الله ﷻ بها نبي الرحمة، وكيفية تعامله ﷺ معها يمكننا أن نستنبط بعض الضوابط العملية التي واجه بها عليه الصلاة والسلام تلك الابتلاءات والمحن منها:



أولا: الصبر: عن أنس بن مالك ﷺ قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِامْرَأَةٍ تَبْكِي عِنْدَ قَبْرٍ فَقَالَ:" اتَّقِي اللهَ، وَاصْبِرِي". قَالَتْ: إِلَيْكَ عَنِّي! فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبْ بِمُصِيبَتِي، وَلَمْ تَعْرِفْهُ. فَقِيلَ لَهَا: إِنَّهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَتَتْ بَابَ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمْ تَجِدْ عِنْدَهُ بَوَّابِينَ، فَقَالَتْ: لَمْ أَعْرِفْكَ. فَقَالَ:" إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى"[١] قَوْله: (إِنَّمَا الصَّبْر عِنْد الصَّدْمَة الْأُولَى)" وَالْمَعْنَى: إِذَا وَقَعَ الثَّبَات، أَوَّل شَيْء يَهْجُم عَلَى الْقَلْب مِنْ مُقْتَضَيَات الْجَزَع؛ فَذَلِكَ هُوَ الصَّبْر الْكَامِل الَّذِي يَتَرَتَّب عَلَيْهِ الْأَجْر، وأصل الصدم ضرب الشيء الصلب بمثله فاستعير للمصيبة الواردة على القلب"[٢].



ثم لنعلم أنَّ هنالك أمرين مما يسلّي المؤمن في مصيبته ويعينه عند محنته، ينبغي أن يضعهما كل مبتلى نصب عينيه وأمام ناظريه[٣]:

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب، باب زيارة القبور، (٢/ ٧٩) رقم (١٢٨٣).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر، (٣/ ١٤٩).

(٣) يوجد العديد من الطُرق والوسائل التي تُعين العبد على الصبر على ما يصيبه من ابتلاءات ومصائب منها: معرفة المسلم للحكمة من ابتلاء الله سبحانه وتعالى له فالله يبتلي عبده؛ ليهذّبه لا ليعذّبه، وأنّ ابتلاءه له يعتبر كفارةً من الذنوب، ودليل على محبّة الله سبحانه وتعالى له، وطريق لبلوغ المنازل العُلا مع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. تذكر المسلم لأحوال من هم أشدّ منه بلاء فمن ينظر إلى الابتلاء الذي يمرّ به غيره يهون عليه ابتلاؤه. تلقّي المسلم لما يصيبه من ابتلاء بالرضا بقضاء الله وقدره، مع يقينه بأنّ الجزع وعدم الرضا لا ينفعانه عند وقوع البلاء. معرفة المسلم لطبيعة الدنيا وأنّها دار عناءٍ، ودار اختبارٍ وامتحان. معرفة الثواب العظيم للصبر على

الأمر الأول: أن يعرف أن أهله وماله ملك لله عز وجل على الحقيقة، وأنه ليس إلا أمينًا على ما في يده، فإذا أخذه الله منه فكأنه رد الأمانة إلى صاحبها، فليس العبد هو الذي أوجد الشيء، وإنما المالك الحقيقي لذلك هو الله عز وجل، وهو المتصرف فيما يريد كيف يشاء.



الأمر الثاني: ما دام مصير العبد إلى الله فيجب عليه أن يعلم أن هذه الدنيا قصيرة مهما طالت، وأنه سيتركها عاجلاً أو آجلاً، وأنه سيلقى ربه كما خُلِق أول مرة بلا أهل ولا مال، وإنما سيلقاه بحسناته وسيئاته، وإذا كان الأمر كذلك فكيف يفرح بموجود ويحزن لمفقود؟ فيا من بليت بمصيبة أو رَزِيّة من مرض مزعج، أو ألم مُضْنٍ، أو فقد قريب، أو موت حبيب، عليك بالصبر؛ فإنه مرضاة للرب، مؤنس للقلب، مُذْهِب للهَمّ، طارد للغَمّ، مُعْظِم للأجر، مُؤْذِن بالعِوَض.

ثانيا: **الحرص على العبادة، والعمل الصالح**:

١ - **الدعاء**: قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[البقرة:١٨٦].

قال ابن القيم رحمه الله: "والدعاء من أنفع الأدوية، وهو عدوّ البلاء، يدافعه ويعالجه، ويمنع نزوله، ويرفعه أو يخففه إذا نزل". [١] وقال ابن تيمية رحمه الله: "الدعاء سبب يدفع البلاء، فإذا كان أقوى منه دفعه، وإذا كان سبب البلاء أقوى لم يدفعه، لكن يخففه ويضعفه،

الابتلاء. الثِقة بحدوث الفرج من الله سبحانه وتعالى وأنّه ما من ضائقةٍ إلا وتُفرج. الاستعانة بالله سبحانه وتعالى، واللجوء إليه وطلب العون منه، وسؤاله الصبر والرضا بقضائه وقدره. عدم الشكوى لأحدٍ غير الله سبحانه وتعالى. عدم اليأس والاستسلام لمُثبّطات الشيطان. التأمّل في قصص السابقين من أهل الصبر، وتأمّل مواقفهم وصبرهم على الابتلاء، والتأسّي بهم. تفويض الأمر لله سبحانه وتعالى مع الأخذ بالأسباب وعدم الاستعجال فكلّ شيءٍ عند الله بقدر.

(١) انظر: الداء والدواء، لابن القيم الجوزية، ص:١١.

ولهذا أمر عند الكسوف والآيات بالصلاة، والدعاء، والاستغفار، والصدقة والعتق"[١]،إذ أن حسنُ الصلة بالله ودعاؤه سبحانه، يعد مفتاح كلِّ خير في الدنيا والآخرة، ومن سأل الله أعطاه، فإنَّه سبحانه لا يخيب عبداً دعاه ولا يرد عبداً ناداه. فالدعاء عبادة مأمور بها المسلم، حيث جعلها الله تعالى سببًا للفرج بعد الشدّة، وكشْفًا للكرب بعد الضّيق، للأتقياء من عباده.

٢- **الصلاة**: عن أم سلمة هند بنت أبي أمية رضي الله تعالى عنها قالت: استيقظ رسول الله ﷺ ليلة فزعا، يقول: "سبحان الله، ماذا أنزل الله من الخزائن، وماذا أنزل من الفتن، من يوقظ صواحب الحجرات -يريد أزواجه الكرام لكي يصلين -رب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة"[٢] أي: " من يوقظهن للصلاة بالليل، وهذا يدل أن الصلاة تنجي من شر الفتن، ويعتصم بها من المحن "[٣]وفي الحديث الندب والإرشاد إلى التضرع، والصلاة، والدعاء واللجوء إلى الله تعالى، وخاصة في الليل -ويستحب الثلث الأخير منه-رجاء موافقة وقت الإجابة . فقد كان من هدي النبي ﷺ إذا حزبه أمر فزع الى الصلاة؛ حيث أوصى ﷺ المؤمنين إذا كُسفت الشمس أو خسف القمر أن يفزعوا إلى الصّلاة؛ ليكشف الله تعالى عنهم ما أصابهم، وعمّم ذلك على كلّ مكروهٍ يصيب المؤمن؛ حيث قال: " إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا يخسفان لموت أحد، ولا لحياته، فإذا رأيتموها فافزَعوا للصلاةِ"، وقال أيضا: "فصلُّوا حتى يُفرِّجَ اللهُ عنكم"[٤].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية، (٨/ ١٩٦).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الفتن، باب لا يأتي زمان إلا الذي بعده شـر منه، (٩/ ٤٩) رقم (٧٠٦٩)، وكتاب التهجد، باب تحريض النبي صـلى الله عليه وسـلم على صـلاة الليل والنوافل من غير إيجاب، (٢/ ٤٩) رقم (١١٢٦).

(٣) شرح صحيح البخاري، لابن بطال، (٣/ ١١٦).

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الكسوف، باب صلاة الكسوف، (٢/ ٦١٩)، رقم (٩٠١).

٣- **الصّدقة**: عن أبي سعيد الخدري قال: خرج رسول الله ﷺ في أضحى، أو فطر إلى المصلى فمر على النساء فقال: "يا معشر النساء تصدقن فإني أريتكن أكثر أهل النار" فقلن: وبم يا رسول الله؟ قال: "تكثرن اللعن، وتكفرن العشير ما رأيت ناقصات عقل، ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن " قلن: وما نقصان ديننا، وعقلنا يا رسول الله؟ قال: "أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل؟ "قلن: بلى، قال: "فذلك من نقصان عقلها. أليس إذا حاضت لم تصل، ولم تصم؟" قلن: بلى، قال:" فذلك من نقصان دينها "(١).

في الحديث حث على فعل الطاعات منها: الصدقة، وكذلك الاستغفار؛ لكونهما من أسباب الوقاية من النار، وهي من أهمّ ما يرفع البلاء عن المسلم. كما أن نبي الرحمة عليه الصلاة والسلام أوصى النّساء أن يتصدّقن، وقرن ذلك بأنّ النّساء من أكثر أهل النّار، فكانت الصدقة سببًا لدفع بلاء عظيم جداً عنهن وهو عذاب الآخرة. فالمؤمن مطالب بعبادة الله تعالى على الدوام، ولاسيما في أوقات نزول البلاء، والمحن، فهو مطالب بالاشتغال بالشيء المثمر من المحافظة على الصلاة، واللهج بالذكر، والإلحاح في الدعاء، رجاء أن تصيبه رحمة ربه فيرفع عنه البلاء.

ثالثا: لزوم التوبة والاستغفار: قال الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴾[الأنفال:٣٣] فكان الاستغفار أمانًا من وقوع العذاب حتى بعد انعقاد أسبابه فالاستغفار يفرج الله به الكرب، لأنه ما نزل بلاء إلا بذنب، وما رفع إلا بتوبة(٢)، فكثرة الاستغفار يفرج الله بها عن العبد المؤمن كربه، ويخفف عن مصابه.

رابعا: الإكثار من التسبيح والذكر وتلاوة القرآن: عن أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت:

(١) أخرجه البخاري، كتاب الحيض، باب ترك الحائض الصوم، (١/ ٦٨)، رقم (٣٠٤).

(٢) راجع: تيسير الكريم الرحمن، لابن سعدي، (ص: ٣٢٠).



سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله " إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتي وأخلف لي خيراً منها " إلا أخلف الله له خيراً منها). قالت: فلما مات أبو سلمة قلت: أي المسلمين خير من أبي سلمة ؟! أول بيت هاجر إلى رسول الله ﷺ، ثم إني قلتها فأخلف اللهُ لي رسولَ الله ﷺ[1].



قال الله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴾ [البقرة:١٥٥-١٥٦] وما استرجع أحد في مصيبة إلا أخلفه الله خيرا منها. فالذكر مع ما فيه من أجر عظيم، وثواب جزيل، ورفعة درجة، وعلو منزلة، ومحو سيئة، فهو أيضًا قوت القلوب، ودواؤها، وغذاؤها، وروحها، وعمارها، وبه تخفف المصائب والمحن، قال الله تعالى: ﴿ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾[الرعد:٢٨]، وقال: "﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[الإسراء:٨٢] فبالذكر تستدفع الآفات، وتكشف الكربات، وتهون المصائب، وتجلى الهموم والأحزان بإذن الله.

خامسا: **الثقة بالله، وبعث التفاؤل في النفوس**: كان رسول الله، ﷺ، يحب التفاؤل، ويبغض التشاؤم، وإذا تأملنا في حياته، فنجدها مليئة بالتفاؤل والرجاء، وحسن الظن بالله، بعيدة عن التشاؤم الذي لا يأتي بخير أبدًا، وخير مثال على ذلك قصة الغار، فالأعداء كانوا أمام الغار، ولو أن أحدهم نظر تحت قدميه لرأى النبي ﷺ وصاحبه، ورغم ذلك يقول له: "ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما؟"[2].

وهذا هو دأب الأنبياء عليهم السلام ما إذا حل بأحدهم البلاء ونزل استعان بالله تعالى ولجأ إليه وهو يحسن الظن به وبأن الفرج قريب وللمؤمنين في ذلك الأسوة الحسنة.

(١) أخرجه مسلم، كتاب الجنائز، باب ما يقال عند المصيبة، (٢/ ٦٣١) رقم (٩١٨).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب، باب مناقب المهاجرين وفضلهم، (٥/ ٤) رقم (٣٦٥٣).

فموسى عليه السلام وقومه حينما ظنّوا أنّ البحر من أمامهم وفرعون من خلفهم فيئس بعضهم وقال: ﴿ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ﴾[الشعراء:٦١] فقال موسى عليه السلام وهو في غاية الثقة بالله -تعالى- وحُسْن الظّن به: ﴿ قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ﴾[الشعراء:٦٢] فنجّى الله -تعالى- برحمته موسى وقومه من فرعون وجنوده عندما لجئوا إليه واستعانوا به، ونوح عليه السلام بعد الامتحان الذي عاشه بتكذيب قومه واستهزائهم به لم يقطع الرّجاء ولم يبتعد عن التضرّع لله تعالى بتحقيق النّصر وتفريج الهمّ، حيث قال: ﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغۡلُوبٞ فَٱنتَصِرۡ ﴾ [القمر:١٠] فلم يتأخّر فرجُ الله -تعالى- له، حيث قال الله تعالى: ﴿ فَفَتَحۡنَآ أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٖ مُّنۡهَمِرٖ ۝١١ وَفَجَّرۡنَا ٱلۡأَرۡضَ عُيُونٗا فَٱلۡتَقَى ٱلۡمَآءُ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ قَدۡ قُدِرَ ۝١٢ وَحَمَلۡنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلۡوَٰحٖ وَدُسُرٖ ﴾ [القمر:١١-١٣] فكانت النّجاة لنوح عليه السلام ومن آمن والهلاك لأهل الكفر، إذ أنّ أخطر ما يُصيب الإنسان عند وقوع البلاء أن يسيء الظّن بالله تعالى فييأس، ويقنط، ويعتقد أنّ هذا البلاء حلّ عليه دون حِكمةٍ، وسبب، أو أنّه سيُلازمه لبقيّة حياته، والحقيقة أنّ العبد يتقلّب في معيّة الله، ولطفه كلّ حين حتى وقت اشتداد البلاء.

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

سادسا: الالتفاف حول العلماء الربانيين، والدعاة الصادقين:

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ ﴾ [النساء: ٨٣].

يقول ابن القيم رحمه الله عن دور شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في التثبت " وكنا إذا اشتد بنا الخوف، وساءت منا الظنون، وضاقت بنا الأرض أتيناه فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه فيذهب ذلك كله عنا" (١) فلابد من الرجوع إلى العلماء؛ لمعرفة الأحكام الشرعية،

---

(١) انظر: الوابل الصيب من الكلم الطيب، لابن القيم الجوزية، (ص:٤٨).

والضوابط المرعية عند نزول البلاء.

نخلص مما سبق بأن من رحمة الله ﷻ بعباده أنه لم يتركهم بدون قدوة يقتدون بها فيما لو قدر عليهم البلاء، فنبينا ﷺ خير من يقتدي به ويتأسى بسيرته العطرة في مواجهته، إذ لم يشتد البلاء بأحد كما أشتد عليه ﷺ، ثم الاقتداء بمن سار على نهجه عليه الصلاة والسلام من صحابته رضوان الله تعالى عليهم، وسلف هذه الأمة الصالح.



الخاتمـــة

وفيها أهم النتائج التي توصل إليها البحث:

١- أن الابتلاء مرتبط بحياة الإنسان فما دامت هناك حياة فهناك حتمًا ابتلاء.

٢- أنه لا فرق بين معنيي الابتلاء والبلاء فهما يجتمعان في أغلب الأمور، وقد يفترقان في بعضها.

٣- أن الابتلاء عام لكل أبناء البشر وهو الكدح والتعب والشقاء، وخاص بالمؤمنين منهم وهو التمحيص والاختبار والامتحان.

٤- أن الناس عند نزول البلاء على أحوال أعلاها وأفضلها الشكر، ثم الرضا، ثم الصبر وأدناها وأعظمها خطرا السخط إذا ترجمته الجوارح.

٥- تنوع الابتلاءات التي عانى منها نبي الرحمة عليه الصلاة والسلام سواء كانت في نفسه، أو أهله، أو عشيرته، أو في دعوته، أو في عرضه الشريف، ومواجهته لها بالصبر، والثقة، واليقين والاحتساب.

٦- إن الضوابط الشرعية، والقواعد المرعية المستنبطة من سيرة نبي الرحمة عليه الصلاة والسلام في مواجهة الابتلاء، إذا أخذنا بها واقتفينا أثره فيها كان ذلك نبراسا لنا يهدينا سواء الصراط.

٧- إن التزام العبد المسلم بهذه الضوابط في مواجهة ما ينزل عليه من البلاء، يقيه بإذن الله من الوقوع في الزلل كالسخط على قدر الله، أو الإصابة بالأمراض النفسية المختلفة، أو استعجال الموت الذي ينتهي بالانتحار والعياذ بالله وغير ذلك من الأمور التي لا يحمد عقباها في الدنيا والآخرة.

٨- رحمة الله ﷻ بعباده، إذ لم يتركهم بدون قدوة حسنة يقتدون بها فيما لو قدر عليهم البلاء.

٩- أن البلاء أنواعه متعددة وأغراضه متنوعة فهو قد يقع بالحسنة، وقد يقع بالسيئة،

فيكـــون اســـتدراجا للكـــافرين، وفضـــحا للمنـــافقين، وتمحيصـــا ورفعـــة لـــدرجات المؤمنين.



١٠-إن الخـروج المسـتمر عـن طاعـة الله سـبب مـن أسـباب إصـابة الإنسـان بـالبلاء وسـقوطه فيـه، إذ قـد يكـون غـافلا معرضـًا عـن ذكـر الله مفرطـًا في جنـب الله مغتـراً بزخـرف الدنيا، فيرده الله بها إليه ردا جميلا.

١١-إن الجـزاء مـن جـنس الابـتلاء إذا صـبر المـرء علـى ذلـك، إذ أن لـه فوائـد تعـود علـى المرء في دينه ودنياه وآخرته إذا صبر وحمد واسترجع واحتسب.

١٢-إذا استشـعر العبـد المعـاني واللطـائف التـي يتضـمنها الابـتلاء انقلـب الـبلاء في حقـه الـى نعمـة وفـتح لـه بـاب المناجـاة ولـذة العبـادة، وقـوة الاتصـال بربـه والرجـاء وحسـن الظـن بالله وغير ذلك من أعمال القلوب ومقامات العبادة ما تعجز العبارة عن وصفه.

١٣-أن الله سـبحانه أثنـى علـى الصـابرين ثنـاءً كبيـراً، وأخبـر أنـه معهـم، وأنـه يـوفيهم أجـرهم بغير حساب، إذ أن الصبر درجة عالية لا ينالها إلا من أبتُلي وصبر واحتسب.

١٤-أن الأخـذ بهـذه الضـوابط ومراعاتهـا تعصـم تصـور المسـلم وتضـبط عقلـه مـن أن يقـع فيما لا يقره الشرع.

١٥-أن الأخـذ بهـذه الضـوابط ومراعاتهـا يعصـم المسـلم بـإذن الله مـن الخطـأ، أو الوقـوع في الإثـم فيمـا لـو سـار وراءِ رأَيـه فيمـا يحـل بـه مـن الـبلاء، وحلَّلـه بعقلـه دون رعايـة للضـوابط المنصـوص عليهـا مـن القـرآن والسـنة، أولمـا عمـل بـه أهـل السـنة والجماعـة لمواجهتها.

التوصيــــات

خرج هذا البحث بمن الله وفضله بعدة توصيات منها:

١-توصيتي لنفسي ولكل مسلم ومسلمة بتطبيق الضوابط الإيمانية والعملية المستسقاة من سيرته العطرة عليه الصلاة والسلام، والتأسي به في مواجهة الابتلاء الذي لم يسلم منه أحد؛ ليسلم له دينه، وعرضه، وينال رضا ربه سبحانه وتعالى.

٢-أوصي المتخصصين في الحديث وعلومه بنشر سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم الصحيحة خاصة فيما يتعلق بالابتلاء وكيفية مواجهته عليه الصلاة والسلام له، وصبره عليه، واحتساب العوض والأجر من الله سبحانه وتعالى؛ ليفوز المسلم بسعادتي الدنيا والآخرة.



فهرس المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، صحيح البخاري، الطبعة: بدون، الناشر: دار ابن كثير عام ١٤١٤هـ ١٩٩٣م.

٣- القاضي عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي اليحصبي، مشارق الأنوار على صحاح الآثار، أبو الفضل (ت:٥٤٤هـ)، الطبعة: بدون، الناشر: المكتبة العتيقة، ودار التراث

٤- شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت:٧٤٨ه)، سير أعلام. النبلاء، الطبعة الثالثة عام ١٤٠٥ه-١٩٨٥م، والطبعة التاسعة، عام١٤١٣ه-١٩٩٣م، وطبعة عام ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، الناشر: مؤسسة الرسالة-بيروت.

٥- زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين أحمد البغدادي الحنبلي المعروف بابن رجب (ت:٧٩٥)، ذيل طبقات الحنابلة، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م، الناشر: مكتبة العبيكان.

٦- د. خالد بن سليمان بن علي الربعي، ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية لمؤرخ الإسلام الحافظ الذهبي رحمهما الله تعالى من الدرة اليتيمية من السيرة التيمية، ومعه جمع لتراجم الذهبي لابن تيمية ورثاء الذهبي لابن تيمية مع بعض أشعاره وذكر الذهبي لابن تيمية في كتبه وبعض تساؤلاته، وسماعات الذهبي من ابن تيمية، الطبعة الأولى ،١٤٣٤/ ٢٠١٣م دار الرسالة العلمية-دمشق.

٧- تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، الحسنة والسيئة، (ت: ٧٢٨هـ)، تقديم: د. محمد جميل غازي، الطبعة: بدون، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان.

٨- عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح ال بسام، علماء نجد خلال ثمانية قرون، الطبعة الثانية

عام ١٤١٩هـ، الناشر: دار العاصمة .

٩- الإمام محمد أبو زهرة، الشــافعي حياته وعصــره-آراؤه وفقهه، الطبعة الثانية، ١٩٧٨م ، الناشر: دار الفكر العربي .

١٠- أبو الفداء إســماعيل بن عمر بن كثير القرشــي البصــري ثم الدمشــقي، طبقات الشــافعيين، (ت:٧٧٤)، تحقيق: د. أحمد عمر هاشــم، د. محمد زينهم محمد عزب، الطبعة: بدون، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، تاريخ النشر: ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.



١١-أبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، إحياء علوم الدين(ت:٥٠٥)، الطبعة:١٤٣٢،١هـ-٢٠١١م، الناشر: دار المنهاج .

١٢-محمد جمال الدين بن محمد ســعيد بن قاســم الحلاق القاســمي، محاســن التأويل، (ت:١٣٣٢هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ، الناشر: دار الكتب العلمية-بيروت، وتحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: عيسى البابي الحلبي،١٣٧٦هـ -١٩٥٧م.

١٣-محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، إغاثة اللهفان من مصايد الشـيطان، (ت:٧٥١)، تحقيق محمد حامد الفقي، الطبعة: بدون، الناشـر: مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية.

١٤-مسـلم بن الحجاج أبو الحسـن القشـيري النيسـابوري، صـحيح مسـلم (المسـند الصـحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم)، (ت:٢٦١)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: بدون، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٥-محمد بن إســماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، صــحيح البخاري (الجامع المســند الصـحيح المختصـر من أمور رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم وسـننه وأيامه تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر الطبعة: الأولى / ١٤٢٢هـ، الناشر: دار طوق النجاة .

١٦-أبو الفداء إسـماعيل بن عمر بن كثير القرشـي البصـري، الدمشـقي، تفسـير القرآن العظيم،



(ت:٧٧٤)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الطبعة: الثانية ١٤٢٠ هـ -١٩٩٩م، الناشر: دار طيبة.

١٧-جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٤ هـ -٢٠٠٢م، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.

١٨-أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، (ت:٧٥١)، تحقيق: زكريا علي يوسف، الطبعة: بدون، الناشر: دار الكتب العلمية-بيروت.

١٩-أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد ابن ابي الدنيا القرشي البغدادي (ت:٢٨١هـ)، كتاب الشكر، تحقيق: بدر البدر، الطبعة: الثالثة، الناشر: المكتب الإسلامي-الكويت-١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

٢٠-أبو إبراهيم، محمد الياس عبد الرحمن الفالوذة، الموسوعة في صحيح السيرة النبوية، الطبعة: الأولى ١٤٢٣ هـ، الناشر: مطابع الصفا -مكة.

٢١-أبو محمد، جمال الدين، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، السيرة النبوية لابن هشام، (ت: ٢١٢)، تحقيق: مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ الشلبي، الطبعة: الثانية، ١٢٧٥هـ -١٩٥٥م الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

٢٢-أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حصين الفيتيابي الحنفي بدر الدين العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، (ت:٨٥٥)، الطبعة: بدون، الناشر: دار إحياء التراث العربي-بيروت.

٢٣-شرح صحيح البخاري لابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ت:٤٤٩هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، الطبعة: الثانية،١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م، الناشر: مكتبة الرشد-السعودية-الرياض.

٢٤-سعد بن جنيدل، معجم الأمكنة الوارد ذكرها في صحيح البخاري، مكتبة الدارة المئوية.
٢٥-د. شوقي أبو خليل، أطلس الحديث النبوي من الكتب الصحاح الستة أماكن وأقوام، ط: الأولى ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م الناشر: دار الفكر المعاصر بيروت-لبنان، دار الفكر، دمشق-سورية.
٢٦-صفي الرحمن المبار كفوري، الرحيق المختوم، (ت:١٤٢٧هـ)، الطبعة: الأولى، الناشر: دار الهلال-بيروت.
٢٧-محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، الجامع الصحيح المختصر (صحيح البخاري)، تحقيق وتعليق: د. مصطفى ديب البغا، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٧-١٩٨٧م الناشر: دار ابن كثير، اليمامة، بيروت.
٢٨-أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، أخرجه وصححه وأشرف على طباعته: محب الدين الخطيب، الطبعة: بدون، الناشر: دار المعرفة، بيروت-لبنان، ١٣٧٩هـ.
٢٩-أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي (ت:٢٢٤هـ)، غريب الحديث (ت:٢٢٤هـ)، تحقيق: د. محمد عبد المعيد خان، الطبعة: الأولى ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م، الناشر: مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد .
٣٠-مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير، (ت:٦٠٦)، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى-محمود محمد الطناحي، الطبعة: بدون، الناشر: المكتبة العلمية-بيروت-١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
٣١-**إبراهيم محمد حسن الجمل**، **أبناء النبي صلى الله عليه وسلم البنون والبنات وأمهاتهم رضي الله عنهم أجمعين**، الطبعة: بدون، الناشر: مكتبة وهبة، دار الاعتصام، ودار الفضيلة للنشر والتوزيع.
٣٢-أبو زكريا يحي بن شرف بن مري النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، الطبعة:



الثانية، ١٣٩٢ه ، الناشر: دار إحياء التراث العربي–بيروت.

٣٣–أبو عمر بن يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت:٤٦٣)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م، الناشر: دار الجيل، بيروت.

٣٤–الإمام محمد ناصر الدين الألباني، مقالات الألباني، تحقيق: نور الدين طالب، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ–٢٠٠٠م، الناشر: دار أطلس الرياض.

٣٥–محمد ناصر الدين الألباني (ت: ١٤٢٠هـ)، دفاع عن الحديث النبوي والسيرة، الطبعة: بدون، الناشر: بدون.

٣٦–محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء المدني، (ت:١٥١هـ)، سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)، تحقيق: سهيل زكار، الطبعة: بدون، الناشر: دار الفكر–بيروت.

٣٧–أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء البصري البغدادي المعروف بابن سعد (ت:٢٣٠)، الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، الطبعة: بدون، الناشر: دار الكتب العلمية–بيروت.

٣٨–الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد شمس الدين القرطبي، (ت:٦٧١)، التعليق على تفسير القرطبي، شرح: عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن حمد الخضير، دروس مفرغة من موقع الشيخ الخضير.

٣٩–أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم الأشقودري الألباني، (ت: ١٤٢٠هـ) ، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء على الأمة، الطبعة : الأولى، ١٤١٢هـ،١٩٩٢م ، الناشر: دار المعارف الرياض–المملكة العربية السعودية .

٤٠–محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت:٧٥١هـ)، زاد المعاد في هدي خير العباد، الطبعة:٢٧، ١٤١٥هـ،١٩٩٤م، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت.

٤١-عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، (ت:١٢٧٦)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م، الناشر: مؤسسة الرسالة

٤٢-تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت: ٧٢٨هـ)، العبودية، تحقيق: محمد زهير الشاويش، الطبعة: السابعة، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، الناشر: المكتب الإسلامي-بيروت.



٤٣-أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، الداء والدواء، تحقيق: محمد أجمل الإصلاحي، خرج أحاديثه، زائد بن أحمد النشيري، الطبعة: الأولى ١٤٢٩هـ، الناشر: دار عالم الفوائد-مكة المكرمة .

٤٤-تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، (ت:٧٢٨)، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد قاسم، الطبعة: بدون، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

٤٥-محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، (ت:٧٥١)، الوابل الصيب من الكلم الطيب، تحقيق سيد إبراهيم، الطبعة الثالثة ،١٩٩٩م ، الناشر: دار الحديث.

٤٦-جابر قميحة رحمه الله، الشيخ إبراهيم مصطفى، الابتلاء وأثره في حياة المسلمين، الطبعة الأولى ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م، الناشر: مركز الإعلام العربي بالهرم-الجيزة – مصر .

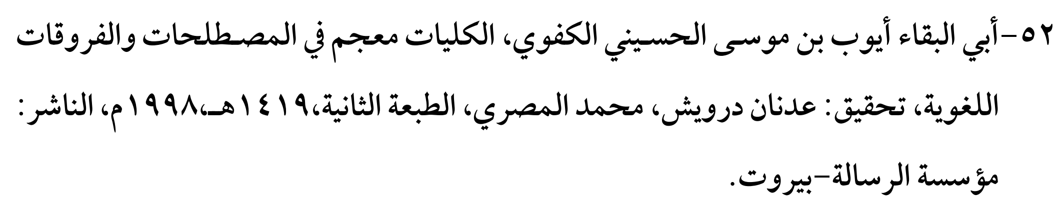
٤٧-عبد الله ميرغني محمد صالح، الابتلاء وأثره في حياة المؤمنين كما جاء في القرآن الكريم الطبعة الأولى، دار النشر: دار الاعتصام، مصر القاهرة، ١٤٠٣ هـ/ ١٠٨٣م.

٤٨-حمود بن عبد الله المطر، الابتلاءات أساليب الكفرة في محاربة الدعوة في عصر النبوة، قدم له وراجعه فضيلة الشيخ العلامة عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م الناشر: دار طويق للنشر والتوزيع.

٤٩-إيمان النجدي، الابتلاء وأثره في حياة المسلم، المملكة العربية السعودية وزارة التعليم العالي، جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية، (موقع صيد الفوائد).

٥٠- أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي المعروف بابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، الطبعة الثالثة، ١٤٣١ه، الناشر: مكتبة الخانجي.

٥١-أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق وضبط محمد خليل عيتابي، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، الناشر: دار المعرفة، بيروت.



٥٢-أبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، الكليات معجم في المصطلحات والفروقات اللغوية، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، الطبعة الثانية،١٤١٩هـ،١٩٩٨م، الناشر: مؤسسة الرسالة-بيروت.

٥٣-أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، الطبعة: السابعة، ١٤١٨ه-١٩٩٨م، الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة، مطبعة المدني، مصر القاهرة .

٥٤-أبو الفضل جمال الين محمد بن مكرم، لسان العرب، الطبعة: بدون، الناشر: دار صادر بيروت، لبنان.

٥٥- أبي عبد الرحمن عادل بن سعد، الأئمة الأعلام سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، فضيلة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين، فضيلة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان، فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، فضيلة الشيخ محمد المختار الشنقيطي، خلاصة الكلام في أحكام علماء البلد الحرام (عقيدة، فقه، آداب إسلامية)، الطبعة الأولى: ٢٠٠٦م-١٤٢٧هـ الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان.

٥٦- فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان جمع وترتيب، مجموع فتاوى رسائل فضيلة الشيخ







محمد بن صالح العثيمين الطبعة الأولى:٢٠٠٣م-١٤٢٣هـ، الناشر: دار الثريا للنشر والتوزيع.

٥٧-د. سليمان بت عبد الله بن حمود أبا الخيل، ود. خالد بن علي بن محمد المشيقح، القول المفيد على كتاب التوحيد، شرح فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، اعتنى به جمعا وترتيبا وتصويبا وعزا آياته وخرج أحاديثه ووضع فهارسه وأشرف على طبعه، الطبعة الأولى: ١٤١٥هـ، الناشر: دار العاصمة للنشر والتوزيع-الرياض.

٥٨- محمد زياد التكلة، فتح الجليل في ترجمة وثبت شيخ الحنابلة عبد الله بن عبد العزيز العقيل، الطبعة: بدون، الناشر: شركة دار البشائر الإسلامية-بيروت، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.





فهرس البحث